تفسير الرسالة إلى رومية

مطبوعات ساعة الإصلاح

بسام مدني

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

٣	مدخل
٤	الدرس الأول
٧	الدرس الثاني
١٠	الدرس الثالث
١٣	الدرس الرابع
١٦	الدرس الخامس
١٩	الدرس السادس
٢١	الدرس السابع
٢٤	الدرس الثامن
٢٦	أسئلة
٢٧	الدرس التاسع
٣٠	الدرس العاشر
٣٣	الدرس الحادي عشر
٣٥	الدرس الثاني عشر
٣٩	الدرس الثالث عشر
٤٢	الدرس الرابع عشر
٤٥	الدرس الخامس عشر
٤٨	الدرس السادس عشر
٥١	الدرس السابع عشر
٥٣	أسئلة
٥٤	الدرس الثامن عشر
٥٧	الدرس التاسع عشر
٦٠	الدرس العشرون
٦٣	الدرس الحادي والعشرون
٦٦	الدرس الثاني والعشرون
٦٩	الدرس الثالث والعشرون
٧٢	الدرس الرابع والعشرون

٧٥	الدرس الخامس والعشرون
٧٨	الدرس السادس والعشرون
٨١	الدرس السابع والعشرون
٨٣	أسئلة
٨٤	نشرة الأخبار السارة
٨٧	مطبوعات ساعة الإصلاح
٨٨	إيمان أبينا إبراهيم
٩١	ثوب البر: ترنيمة

مدخل

"كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحى بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللَّهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦ و ١٧).

يسر إدارة "ساعة الإصلاح" أن ترسل إلى مستمعينا الكرام تفسيراً للرسالة إلى رومية. وهذا أول كتاب في سلسلة "دروس في الكتاب المقدس" وهي مبنية على برامجنا الإذاعية التي نبثها باتجاه أقطار الوطن العربي.

تعد "الرسالة إلى رومية" من أهم أسفار الكتاب المقدس وتمتاز عن أكثرية رسائل العهد الجديد في أنها صيغت بقالب عقائدي ومنطقي ويمكن النظر إليها كعبارة عن ملخص للعقائد المسيحية الأساسية وكيفية تطبيقها في حياة جميع الذين واللواتي تصالحو مع الله وقبلوا يسوع المسيح كمخلص ورب. ومن وقف على تعاليم الرسول بولس الواردة في هذه الرسالة صار من الأسهل له أن يفهم بقية أسفار الوحي الإلهي.

وإذ ذلك لا بد لنا من أن نرى بأن الله لم يعطنا الكتب المقدسة لمجرد تنمية معرفتنا بالأمر الديني بل لنصل فوق كل شيء إلى اختبار العمل الخلاصي والفدائي الجبار الذي أتمه تعالى في المخلص يسوع المسيح. لو لم يأت المسيح إلى عالمنا ولو لم يقم له المجد بعمله الخلاصي على الصليب بالقرب من القدس، لما كان هناك إنجيل ولا مناداة بالخلاص ولا بولس الرسول ولا كنيسة المسيح.

كنا قد أصدرنا هذا التفسير في حزيران / يونيو ١٩٦٣ ولقد لاقى نجاحاً كبيراً فإن جميع نسخات الطبعة الأولى قد نفذت. وأردنا الآن إعادة طباعة هذا الكتاب بعد إجراء بعض التنقيح.

نرفع أديعتنا وصلواتنا إلى الله تعالى اسمه ليستعمله لمجده ولخلاص الناس ونموهم في حياة الإيمان والتقوى والصلاح.

في ١٦ مارس / آذار ١٩٧٩

القس بسام مدني مدير "ساعة الإصلاح"

الدرس الأول: مقدمة عامة

رسائل العهد الجديد

دروس في رسائل العهد الجديد التي تتضمن مجموعة العقائد المسيحية التي نشرها الرسل في الكنائس التي أُسِّسَتْ في القرن الأول الميلادي والتي هي ضرورية لفهم الرسالة المسيحية وقيمتها للفكر والحياة في هذه الأيام.

نجد الرسائل في الكتاب المقدس بعد قراءة الإنجيل حسب متى ومرقس ولوقا ويوحنا وسفر أعمال الرسل الذي كُتِبَ أيضاً من قِبَلِ البشير لوقا. لكن هذا لا يعني أن الرسائل أتت إلى حيز الوجود بعد الإنجيل، إنها إنما وضعت بعد الإنجيل لأسباب منطقية وعقائدية.

تحوي الرسائل سجلاً بتعاليم الرسل بخصوص الخبر السار أي إنجيل يسوع المسيح وقد كتبت إلى كنائس أو أشخاص معينين في مناسبات خاصة ومع ذلك فإنها ذات قيمة دائمة إذ أنها تفسر لنا بشكل معصوم عن الخطأ معنى عمل يسوع المسيح الخلاصي والفداء العظيم الذي أتمه بموته الكفاري على الصليب وقيامته من الأموات. وإذا أردنا الوقوف على معنى المسيحية ليس علينا إلا الإطلاع على ما كتبه رسل السيد المسيح منذ نحو ١٩٠٠ سنة.

وغايتنا في نشر هذه الدروس الكتابية هي أكثر من الرغبة في إعطاء معرفة تامة عن المسيحية الحقيقية والبشارة الخلاصية، رغبتنا هي نفس الرغبة التي دفعت الرسل القديسين إلى الذهاب من مكان إلى آخر والمناداة بالإنجيل أي دعوة الناس أجمعين إلى قبول سلام الله بالإيمان بيسوع المسيح كمخلص ورب والتخلص بذلك من سلطة الخطية وطغيانها. ولسان حالنا هو شعار الرسول بولس، المبشر المسيحي الأعظم، الذي كتب لمسيحي رومية قائلاً: "لَأَنِّي لَسْتُ أَسْتَجِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ لِأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَّاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ... (لماذا) لَأَنَّ فِيهِ مُعَلَّنٌ بَرُّ اللَّهِ بِإِيمَانٍ لِإِيمَانٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا" (رومية ١: ١٦ و١٧).

رسائل بولس

كتب الرسول بولس ١٣ رسالة والتي سنبدأ بدراستها قبل دراسة بقية الرسائل في العهد الجديد. وقد قام الرسول بهذه المهمة العظيمة نظراً للعوامل التالية:

١. إلهام الروح القدس: فالرسول كان كغيره من كُتَّاب أسفار الكتاب المقدس تحت تأثير الروح القدس وهكذا ننظر إلى كتاباته كجزء لا يتجزأ من كلمة الله المقدسة.

٢. كان الرسول بولس قد وُهِبَ عقلاً خصباً ولامعاً مكَّنه من فهم فحوى البشارة المسيحية بصورة دقيقة.
٣. كذلك وُهِبَ الرسول قلباً طافحاً بالرغبة لنشر ما آمن به وما دُعِيَ من أجل إذاعته في جميع أنحاء عالمه.
٤. كان الرسول ملاماً كل الإلمام بتعاليم كتاب الله (العهد القديم). وبما أنه ولد وتربى في مدينة طرسوس في آسيا الصغرى تمتع بوجهة نظر عالمية غير إقليمية ضيقة كما كانت حالة أكثر أبناء جنسه.
٥. حصل الرسول بولس على أحسن ثقافة كانت تقدمها تلك الأيام إذ أنه درس في جامعة طرسوس الشهيرة قبل ذهابه للتخصص في علم اللاهوت في المدينة المقدسة.

ميزة رسائل بولس الرسول

عندما نتكلم عن رسائل بولس الرسول لسنا نشير إلى رسائل اعتيادية، فنحن عندما نكتب إلى أصدقائنا أو معارفنا نملاً رسائلنا بأمور شخصية ذات أهمية محدودة. لكن رسائل بولس لم تتصف بهذا الطابع إذ أنها كانت بالحقيقة مقالات كتبت بشكل رسائل عولجت فيها التعاليم المسيحية الأساسية. وليس هناك طريقة أفضل من طريقة الرسول بولس لإفهامنا معنى المسيحية وامتيازاتها ومتطلباتها. وكانت رغبة الرسول أن تُقرأ هذه الرسائل في الكنائس أمام الجميع لا أن تبقى في حوزة أفراد معينين.

الظروف التاريخية التي أحاطت بكتابة الرسائل

علينا أن نتذكر عند دراستنا لرسائل العهد الجديد بأنها كُتبت في مناسبات خاصة لمعالجة بعض المواضيع التي برزت بسبب حوادث تاريخية واقعية. مثلاً كتب بولس رسالته الأولى إلى مسيحيي كورنثوس في بلاد اليونان عندما وصل إلى سماعه خبر وجود انشقاقات عديدة في كنيستهم وكذلك لانحرافهم عن مبادئ الكنيسة نظراً لعدم طردهم لأحد الأعضاء الذي كان يعيش بشكل مناف للآداب المسيحية. وندعو هذه الدوافع بالأمور التاريخية – الأدبية. وهكذا يتحتم علينا ونحن ندرس رسائل الكتاب أن نعمل جهدنا لنتصور الحالة الخاصة التي كانت في الكنيسة التي وُجِّهت إليها الرسالة.

كتابة الرسائل ووسائل نقلها وتسليمها في أيام الرسول بولس

كان الرسول يملئ رسائله وذلك إما لضعف في بصره كما يظن بعض المفسرين، أو لوجود عادة الإملاء في تلك الأيام. وقد كُتبت الرسائل باللغة اليونانية التي كانت تُستعمل في حوض البحر الأبيض المتوسط والتي كانت تعد لغة العالم المتمدن بأسره. وفي بعض الأحيان يذكر الرسول اسم كاتب الرسالة كما نلاحظ ذلك في رسالته إلى رومية (١٦):

٢٢). وإذ لم يكن هناك نظام للبريد الدولي كما في أيامنا هذه، فإن الرسائل كانت تُحمل من قِبَل رفاقه العاملين في حقل الإنجيل إلى الكنائس أو الأشخاص المرسلَة إليهم.

تصنيف رسائل بولس الرسول

١. بالنسبة إلى تاريخ كتابتها:

أ: الرسائل الأولى: الرسائلتان الأولى والثانية إلى الكنيسة في تسالونيكي، الرسالة إلى كنائس غلاطية، الرسالة الأولى والرسالة الثانية إلى الكنيسة في كورنثوس والرسالة إلى الكنيسة في رومية.

ب: الرسائل المرسلَة من السجن: الرسالة إلى الكنيسة في كولوسي، الرسالة إلى فلاديمون، الرسالة إلى الكنيسة في أفسس، الرسالة إلى الكنيسة في فيلبي.

ج: الرسائل الرعوية: الرسائلتان الأولى والثانية إلى تيموثاوس الأسقف والرسالة إلى الأسقف تيطس.

٢. بالنسبة إلى مستلميها:

أ: رسائل كتبت إلى كنائس.

ب: رسائل كتبت إلى أفراد ضمن الكنائس.

الدرس الثاني: الرسالة إلى رومية

المقدمة

التاريخ: كتب الرسول بولس رسالته إلى الكنيسة في رومية في السنة ٥٨ ميلادية قرب نهاية اقامته في مدينة كورنثوس ببلاد اليونان. وقد قام بهذه المهمة قرب انتهائه من رحلته التبشيرية الثالثة وقبل ذهابه إلى المدينة المقدسة.

المناسبة: كانت الكنائس التي أسسها الرسول في آسيا الصغرى وبلاد اليونان قد جمعت الأموال لمساعدة المسيحيين الفقراء في البلاد المقدسة وطلبت من الرسول بولس أن يأخذ هذه المساعدة المالية بنفسه ويسلمها إلى قادة الكنيسة في القدس. وبما أن موسم السفر البحري كان على وشك بأن يُففتح نظراً لِقُدوم الربيع، عزم بولس على ترك كورنثوس بأقرب وقت ممكن والإقلاع على سفينة ذاهبة إلى شرقي البحر المتوسط. وهكذا لم يتيسر له الذهاب إلى عاصمة الإمبراطورية الرومانية كما كان يتوق إلى القيام بذلك منذ زمن طويل. وإذ علم الرسول بأن فيبي (وهي خادمة الكنيسة في كنخريا ميناء كورنثوس الشرقي) كانت مزمنة على السفر إلى رومية اغتنم تلك الفرصة وكتب رسالته إلى الكنيسة هناك. وبهذه الوسيلة التي تظهر لنا اعتيادية أعطانا الروح القدس المفتاح الأكيد لفهم الكتاب المقدس بأسره.

غاية الرسالة إلى رومية

١. إعلام الكنيسة في رومية عزم الرسول على الذهاب إليهم في مناسبة أخرى. وكان الرسول قد صمم أن يمر على رومية في سفرة مقبلة تأخذه إلى إسبانيا وذلك بعد انتهائه من مهمة تسليم المساعدة المالية إلى فقراء الكنيسة في القدس.
٢. إعطاء الكنيسة في رومية فكرة شاملة عن المبادئ الأساسية للديانة المسيحية. فقد كانت رومية على وشك بأن تصبح مركزاً هاماً للكنيسة المسيحية وكان من الضروري لأعضاء الكنيسة فيها أن يكونوا واقفين على معنى البشارة وضرورة نشرها في كل مكان. وهكذا أصبحت هذه الرسالة الكتاب الأساسي للعقيدة المسيحية.
٣. تصحيح بعض الأخطاء العقائدية التي كانت عالقة ببعض أعضاء الكنيسة في رومية. وليس هناك طريقة أحسن للتغلب على الخطأ والجهل سوى إعلان الحق بأسره وبصورة علمية وحية.

مستلمو الرسالة

الكنيسة المسيحية في رومية: يظهر من قراءتنا لهذه الرسالة أنها لم تُؤسس من قبل رسول (رومية ١٥ : ٢٠). يميل معظم المفسرين إذن إلى القول بأن الكنيسة في رومية تأسست من قبل أولئك الذين كانوا في المدينة المقدسة يوم الخمسين أي يوم حلول الروح القدس على الرسل والكنيسة في مدينة القدس. فقد كان قوم من أنحاء عديدة من العالم ساكنين في القدس وسمعوا بذلك الحدث الهام واعتنق الكثيرون منهم الديانة المسيحية. وبما أن الناس كانوا يسافرون بشكل مستمر إلى جميع أنحاء الإمبراطورية بدون أية عوائق أو موانع فلا بد أن المستوطنين الرومانيين الذين صاروا مسيحيين في القدس عادوا إلى رومية وأسسوا الكنيسة في قلب العالم المتمدن. ومن الجائز أن يكون البعض من المؤمنين القاطنين في آسيا الصغرى قد ذهبوا إلى رومية إما لتأسيس الكنيسة فيها أو لدعمها أثناء نموها المستمر. وقد كانت هذه الكنيسة ذات أهمية عظمى نظراً لموقعها الجغرافي. وبالفعل اشتهر أعضاؤها بقوة إيمانهم وبرغبتهم في نشر إيمانهم بين مختلف طبقات سكان العاصمة.

أهمية الرسالة إلى رومية

لا يمكننا أن نغالي في أهمية الرسالة لأنها مفتاح لفهم سائر أسفار الكتاب المقدس. وقد استعمل الله هذه الرسالة للمجيء بالحركة الإصلاحية المباركة التي بدأت في القرن السادس عشر والتي أرجعت للكنيسة حيويتها وإيمانها الكتابي. إن فهمنا هذه الرسالة كما يجب فإننا نفهم أهم مواضيع الوحي الإلهي ولذلك فإننا نبدأ دراستنا لأسفار الكتاب المقدس في رومية راجين من الله تعالى الذي أوحى بمحتويات هذه الرسالة إلى عبده ورسوله بولس أن يفتح قلوبنا لتقبل هذه التعاليم المحررة والمنيرة.

فالرسالة إلى رومية تبحث في هذه المواضيع الثلاثة التي تهتم كل إنسان:

١. الشقاء والتعاسة في حياة الإنسان:

كيف وصل الإنسان وهو المخلوق العاقل إلى هذه الدرجة من الشقاء والتعاسة؟ ما هو التشخيص الحقيقي والواقعي لحالة الإنسان الكئيبة؟ جواب الرسالة إلى رومية هو أن الإنسان في حالته الحاضرة ليس في مكان يحسد عليه لأنه تائر ومتمرد على الله خالقه وهو يبتعد عنه بشكل متواصل مفضلاً عبادة الإنسان والمخلوقات الأخرى على عبادة الله الحي.

٢. الخلاص:

يتكلم الرسول في رسالته إلى رومية عن موضوع الخلاص من حالة اليأس الروحي المسيطر على الإنسان بسبب خطيته. وهذا الخلاص هو إنجيل أي خبر مسر مصدره الله إذ

أنه تعالى لم يترك الإنسان في حالته التعيسة بل عمل له خلاصاً عظيماً بإرسال ابنه الوحيد يسوع المسيح إلى العالم لينتصر على الخطية وينقذ الإنسان من سيطرتها الغاشمة.

٣. الشكر والامتنان:

يعلّمنا بولس الرسول في رسالته إلى رومية عن واجب الشكر الذي يقع على كل إنسان قبل شروط المصالحة مع الله. لأن الله لا يخلص المائت في الخطية ليتركه عائشاً حياةً منكسرة وبدون غاية نبيلة بل إنه يجند الخالص ليحيا له مظهراً في حياته صحة الخلاص الذي تم فيه بواسطة عمل المسيح الفدائي على الصليب. كل ما يلزمنا في حياتنا الروحية المذكور في الرسالة إلى رومية، لنعزم إذن على دراستها والحياة بنورها.

الدرس الثالث

" ١ بولس عبد يسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لإنجيل الله ٢ الذي سبق فوعد به بأنيابيه في الكتب المقدسة ٣ عن ابنه. الذي صار من نسل داود من جهة الجسد ٤ وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القدس بالقيامة من الأموات: يسوع المسيح ربنا. ٥ الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم ٦ الذين بينهم أنتم أيضاً مدعوو يسوع المسيح. ٧ إلى جميع الموجودين في رومية أحبباء الله مدعوين قديسين: نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح. ٨ أولاً أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم يُنادي به في كل العالم. ٩ فإن الله الذي أعبدته بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم ١٠ متضرراً دائماً في صلواتي عسى الآن أن يتيسر لي مرة بمشيئة الله أن آتي إليكم. ١١ الأتي مشتاقاً أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم ١٢ أي لتتغزى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعاً إيمانكم وإيماني. ١٣ ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الإخوة أنني مراراً كثيرة قصدت أن آتي إليكم ومُنعت حتى الآن ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر الأمم. ١٤ إني مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء. ١٥ فهكذا ما هو لي مُستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً ١٦ لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن: لليهودي أولاً ثم لليوناني. ١٧ لأن فيه مُعلن برُّ الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب «أما البار فبالإيمان يحيا» (رومية ١: ١٧).

نجد في النص الكتابي مقدمة بولس الرسول لرسالته إلى رومية وسنتأمل الآن في الأمور الهامة التي ستساعدنا على فهم الرسالة بأسرها بعون الله الموحى بها.

١. ينظر بولس إلى نفسه كعبد للرب يسوع المسيح الذي أعتقه من العبودية التي كان يزرع تحتها أثناء وجوده في طائفة الفريسيين، وكرسول دعي من قبل المخلص من أجل نشر الخبر السار (أي الإنجيل) في جميع أنحاء العالم.

٢. يدعو الرسول بولس الإنجيل بإنجيل الله. الخبر السار عن تتميم خلاص العالم بواسطة يسوع المسيح لم يكن ليتحقق لولا تدبير الله وخطته لفداء العالم من الخطية والشر. الإنجيل إذن ليس بشري في مصدره ولا يمكن النظر إليه إلا كخبر الله المسر الذي يجب أن يذاع بين الملأ من قبل الذين يدعوهم الله للقيام بهذه المهمة المقدسة.

٣. مع أن الإنجيل لم يصبح حقيقة واقعية إلا بعد قدوم المسيح إلى العالم وموته على الصليب وقيامته من الأموات إلا أن ذلك لم يكن أمراً مكتوماً إذ أن الله كان قد وعد به بواسطة أنبيائه في العهد القديم أي في الأيام التي سبقت الميلاد. وقد دون الأنبياء من موسى إلى ملاخي ما أوحى به إليهم في أسفار تدعى بالأسفار المقدسة أو العهد القديم أو التوراة.

المسيح وطلب من رسله إذاعة خبرها في المسكونة. أما كيفية الحصول على هذا البر أي كيفية التبرير فهي بواسطة الإيمان كما هو مكتوب: أما البار فبالإيمان يحيا. يحصل الإنسان على البر المقدم في الإنجيل بواسطة الإيمان. ويحافظ على حياته الجديدة المبررة بواسطة الإيمان. البر هو بر الله والحصول عليه بالإيمان: هذه خلاصة الإنجيل. أما في بقية هذه الرسالة فإن الرسول سيأخذ على عاتقه أمر تفسير مبادئ الإنجيل وتطبيقها في حياة الأفراد والجماعات.

الدرس الرابع

" ١٨ لَأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِيْتَهُمِ الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالْإِيْتِمِ. ١٩ إِذْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ ٢٠ لِأَنَّ مُنْذُ خَلَقَ الْعَالَمَ تَرَى أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلَا هَوْتُهُ مُدْرَكَةٌ بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُدْرِ. ٢١ لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللَّهَ لَمْ يَمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَالِهٍ بَلْ حَمَقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ وَأَظْلَمَ قُلُوبُهُمْ الْعَبِيَّةُ. ٢٢ وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلَاءَ ٢٣ وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَفْنَى بِشِبْهِهِ صُورَةَ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى وَالطِّيُورِ وَالذَّوَابِّ وَالزَّحَافَاتِ. ٢٤ لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ أَيْضاً فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ لِإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمْ. ٢٥ الَّذِينَ اسْتَبَدَّلُوا حَقَّ اللَّهِ بِالْكَذِبِ وَاتَّقُوا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ. ٢٦ لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ لِأَنَّ إِنَانَهُمْ اسْتَبَدَّلْنَ الْإِسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلَافِ الطَّبِيعَةِ ٢٧ وَكَذَلِكَ الذُّكُورُ أَيْضاً تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الْأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ اسْتَعْلَوْا بِشَهَوَاتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فَاعْلَيْنِ الْفَحْشَاءَ ذُكُوراً بِذُكُورٍ وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءً ضَالِّلِهِمُ الْمُحَقِّ. ٢٨ وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْفُوا اللَّهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى ذَهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيْقُ. ٢٩ مَمْلُوءِينَ مِنْ كُلِّ إِيْمٍ وَزِنًا وَشَرٍّ وَطَمَعٍ وَحُبْتٍ مَشْحُونِينَ حَسِداً وَقَتلاً وَخِصَاماً وَمَكْراً وَسُوءاً. ٣٠ نَمَامِينَ مُفْتَرِينَ مُبْغِضِينَ لِلَّهِ تَائِلِينَ مُتَعَطِّمِينَ مُدْعِينَ مُبْتَدِعِينَ شُرُوراً غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدِينَ ٣١ بِلَا فَهْمٍ وَلَا عَهْدٍ وَلَا حُنُوقٍ وَلَا رِضَى وَلَا رَحْمَةٍ. ٣٢ الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللَّهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ لَا يَفْعَلُونَهَا فَقَطُّ بَلْ أَيْضاً يُسْرُونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ! " (رومية ١: ١٨-٣٢).

دعا الله الرسول بولس للمناداة بالإنجيل لأن العالم بأسره هو بحاجة مطلقة إلى الخلاص المعلن فيه. في الإنجيل معلن بر الله أي طريقة الله لتبرير الإنسان من الخطية ولإنقاذه من سطوتها، وهذا البر ضروري لأن غضب الله أيضاً معلن من السماء على جميع فجور الناس وإيْتهم وشُرهم. وفي الأعداد الباقية من الإصحاح الأول يعطينا الرسول وصفاً واقعيّاً ومؤلماً لحالة العالم في أيامه، ذلك العالم الذي كان بصورة شبه تامة غارقاً في ظلام الوثنية.

١. الوثنية وعبادة الأصنام:

أهناك دليل أكبر على حاجة الإنسان الماسة إلى الإنجيل من وجود الوثنية في العالم ومن سيطرتها على قلوب وعقول وأجساد الناس؟ كيف نشأت الوثنية؟ أهناك مبرر لوجودها؟ كلا ليس هناك أي سبب معقول لنشوء الوثنية وامتدادها في العالم. إن الله تعالى غير منظور لأنه روح ولكن أمور الله غير المنظورة أي صفاته الإلهية ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات أي بالأشياء التي صنعها الله. العالم بأسره وكل ما فيه يشهد بوجود

إله سرمدى متعالٍ فوق جميع المخلوقات وسامٍ في كل صفات الكمال. لكن الإنسان لم يرد بأن يتعلم من كشف الله لذاته في الخليقة بل أخذ يتوه في مجاهل الفكر الإنساني المستقل عن الله. ومع أن الإنسان يدّعي الحكمة والمعرفة إلا أنه جاهل وأحمق وغبي. كيف نقول عنه هذه الأشياء وهو الذي قام باختراعات عديدة وهو الذي أشاد بنايات منذ آلاف السنين؟ جواب الرسول هو: انظروا كيف ابتدع الإنسان عبادة الأوثان، ألا ترونه يعبد الإنسان الفاني والطيور والدواب والزحافات، أليس هذا دليل كاف على سقوطه من المرتبة العالية التي خلق عليها.

وقد يكون البعض من الوثنيين قد أقرّوا بوجود الله الخالق وادّعوا أنهم لا يعبدون الأصنام عبادة حقيقية بل إنما ينظرون إليها نظرة الوسيط المساعد في عبادة الله. ولكن هذا عذر واهٍ غير مقبول. لا يحتاج الله إلى تمثيل حسي. إنه، له المجد، روح ويجب أن يُعبد بالروح والحق. ولذلك فإن جميع الأعداء التي يأتي بها عابدو الأصنام غير مقبولة لدى الله. وهي في صلبها منبثقة من قلب الإنسان المظلم الذي يحول الحق إلى كذب والذي يبعد صاحبه عن الله بصورة متواصلة.

٢. الضلال في الدين يؤدي دوماً إلى نتائج وخيمة في الحياة.

هذا هو الموضوع الثاني الذي يعالجه الرسول بولس. فإن الوثنيين بعد ما استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد أسلمهم الله إلى أهواء الهوان. هذا هو العقاب الصارم الذي يصحب كل انحراف عن الطريق المستقيم الذي رسمه الله في عبادته الحقيقية. إن رفض الإنسان أن يحافظ على معرفة الله الظاهرة في الطبيعة وفي ضميره فإن الله يرفضه ويسلمه حسب قضائه العادل إلى أهواء الهوان والخطايا التي يقشعر لها البدن.

يأتي الرسول على ذكر خطية شنيعة للغاية كانت سارية بين عابدي الأوثان في أيامه والتي لا تزال تفترس الكثيرين حتى هذا العصر ألا وهي الشذوذ والانحطاط الجنسي بين الرجال والنساء. طبعاً ليست هذه خطية الوثنية الوحيدة بل أشار إليها الرسول ليرينا الهوة السحيقة التي يقع فيها كل الذين يودون الابتعاد عن الله وعن عبادته الحقيقية، عندما يسلمهم الله إلى جاذبية الخطية التي هي بخلاف الطبيعة. يا لها من صورة قاتمة ولكنها حقيقية ليس فيها أية مبالغة ويمكن التأكد من صحتها بالجوء إلى قراءة تاريخ العالم اليوناني والروماني وسائر الحضارات الوثنية القديمة والحديثة.

هناك أيضاً لائحة كبيرة للخطايا التي يرتكبها أولئك الذين لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم والتي يأتي الرسول على تعدادها بدون أن يعلق عليها. وهذا لا يعني أن كل عابد

للأوثان واقع تحت سطوة جميع هذه الخطايا ولكن إرادة الرسول كانت في إظهار أن أي بشري وقع في خطية الوثنية يظهر نتائج ذلك في انحطاط مريع ضمن حياته الأخلاقية.

نرى ذروة الابتعاد عن الله في قول الرسول الأخير الذي به ينهي وصفه لحالة الوثنية المرعبة: الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل يسرون بالذين يعملون. إن الذين سقطوا في وادي الهلاك الديني والأخلاقي لا يودون أن يكتفوا برؤية أنفسهم ضمن حماة الوثنية والانحطاط بل إنهم يسرون بذلك وبالذين يحذون حذوهم من بقية أفراد البشرية.

ألا نرى إذن بؤس وتعاسة البشرية المتمردة على الخالق؟ أهنالك مجال لتدخل إلهي قوي للتغلب على مرض الإنسانية المخيف؟ الإنجيل يخبرنا بالفعل عن هذا التدخل وعن تطبيقه في حياة البشر. لنبق إذن مع الرسول وهو يفسر لنا مبادئ الإنجيل في دروسنا المقبلة.

الدرس الخامس

" ١ لِذَلِكَ أَنْتَ بِلَا عُدْرِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ كُلُّ مَنْ يَدِينُ. لِأَنَّكَ فِي مَا تَدِينُ غَيْرَكَ تَحْكُمُ عَلَيَّ نَفْسِكَ. لِأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ تَفْعَلُ تِلْكَ الْأُمُورَ بِعَيْنِهَا! ٢ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ دَيْنُونَةَ اللَّهِ هِيَ حَسَبُ الْحَقِّ عَلَى الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ. ٣ أَفَتَنْظُرُنَّ هَذَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي تَدِينُ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ وَأَنْتَ تَفْعَلُهَا أَنْتَ تَنْجُو مِنْ دَيْنُونَةِ اللَّهِ؟ ٤ أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمَهَالِهِ وَطُولِ أُنَاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَفْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ ٥ وَوَلَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ تَذَحُرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلَانِ دَيْنُونَةِ اللَّهِ الْعَادِلَةِ ٦ الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. ٧ أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ فَبِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. ٨ وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ التَّحَرُّبِ وَلَا يُطَاوِعُونَ لِلْحَقِّ بَلْ يُطَاوِعُونَ لِلِإِثْمِ فَسَخَطٌ وَغَضَبٌ ٩ شَدِيدٌ وَضَيْقٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ إِنْسَانٍ يَفْعَلُ الشَّرَّ الْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ الْيُونَانِيِّ. ١٠ أَوْ مَجْدٌ وَكَرَامَةٌ وَسَلَامٌ لِكُلِّ مَنْ يَفْعَلُ الصَّالِحَ الْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ الْيُونَانِيِّ. ١١ لِأَنَّ لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ مُحَابَاةٌ. ١٢ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَحْطَأَ بِدُونِ النَّامُوسِ فَيَدُونُ النَّامُوسَ يَهْلِكُ وَكُلُّ مَنْ أَحْطَأَ فِي النَّامُوسِ فَبِالنَّامُوسِ يُدَانُ. ١٣ لِأَنَّ لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللَّهِ بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ. ١٤ لِأَنَّهُ الْأُمَّمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ فَهَؤُلَاءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لَأَنْفُسِهِمْ ١٥ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوبًا ١٦

فِي قُلُوبِهِمْ شَاهِدًا أَيْضًا ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيَّنَّهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُخْتَجَّةً ٦ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللَّهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ " (رومية ٢: ١-١٦).

تعلمنا من الفصل الأول لرسالة بولس الرسول إلى رومية أن الحاجة الرئيسية لجميع أفراد البشر هي الخلاص من الخطية والحصول على رضى الله وبره. وقد اتخذ الله جميع الاحتياطات اللازمة لمداواة مرض البشرية المزمن وعمل الخلاص القوي في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإنجيل الخبر المسر للغاية في أن الإنسان يستطيع أن يتبرر ويتخلص من شروره وأثامه إذا آمن بما قام به ربه من أجله.

وكذلك تكلم الرسول عن ظلمة الابتعاد عن الله الظاهرة في حالة الوثنية المحزنة تلك الحالة التي تظهر شذوذاً لا يمكن أن يوصف بكلمات إلا ويقشع لها جسم الإنسان.

١. الشذوذ الروحي والديني الظاهر في عبادة المخلوق دون الخالق تعالى اسمه.

٢. الوقوع في أخطاء شنيعة في الحياة الأخلاقية كالشذوذ الجنسي المخالف للطبيعة البشرية الذي يلاحظ حينما انعدمت معرفة الله الحقيقية.

نأتي الآن إلى الفصل الثاني حيث يوجه الرسول كلامه إلى الذين لم يكونوا قد سقطوا إلى تلك الدرجة السحيقة من الانحطاط الديني والأخلاقي. فثلاً يظن هؤلاء بأنهم ليسوا بحاجة إلى الإنجيل لأنهم لم يخطئوا حسب وصف الرسول، فإنه يوجه أنظارهم إلى هذه الحقائق الهامة السارية على جميع أفراد البشرية.

١. أن دينونة الله للخطية وللخاطيء أمر لا مفر منه. على الإنسان ألا ينظر إلى الآخرين ويقول عن نفسه أنني أحسن حالاً منهم ولذلك فإن الله يقبلني نظراً لعدم وقوعي في أخطائهم. على الإنسان ألا يظن أنه نظراً لعلمه ولمعرفته في أمور الدين والأخلاق أن ذلك يعفيه من ضرورة القيام بمتطلبات الشريعة الإلهية. المعرفة العقلية في حد ذاتها غير كافية لأن الله يريد منا أن نحيا حسب شريعته لا أن نكتفي بالكلام عنها. وهكذا إن اتخذنا الشريعة كمقياس للحكم على الآخرين فإننا نكون بذلك قد اتخذنا أيضاً ذات المقياس للحكم على أنفسنا. الشريعة الإلهية سارية المفعول على جميع الناس لأنها وجدت لتسيير أمور البشرية جمعاء لا بعض الأفراد دون الآخرين.

٢. إن كان الله لا يدين الإنسان حالاً بعد ارتكابه الخطايا فهذا لا يعني أن الله نسي أو تناسى متطلبات شريعته. كلا إن لطف الله وإمهاله وطول أناته إنما تشير إلى ضرورة التوبة إذ أن الله لا يرغب في موت الخاطيء بل في رجوعه إليه وفي توبته عن خطيته. ولكن إذا تماهل الإنسان ولم يعمل على الرجوع إلى الله فإنه يكون بذلك قد حول جميع خيرات الله وهباته إلى أصابع ستشهد ضده في يوم الدينونة الرهيب.

٣. سيجازي الله كل إنسان حسب أعماله. هذا قانون ساري المفعول منذ بدء الخليقة إلى نهايتها. فإن الذين يعملون بمعونة نعمة الله الخلاصية على طلب المجد والكرامة فإنهم ينالون الحياة الأبدية وأما الذين لا يودون إطاعة الحق فإن نصيبهم الهلاك.

٤. ولكن أفراد البشرية في أيام الرسول كانوا مقسومين إلى قسمين بالنسبة إلى ديانتهم. القسم الأعظم من الإنسانية كانوا يعبدون الأصنام وقسم صغير كان يعبد الله الواحد وكان أكثريتهم من اليهود. السؤال الذي ينبثق عن هذا الأمر وعن المباديء التي ذكرها بولس في القسم الأول من فصلنا هو: كيف يدين الله أولئك الذين لم يحصلوا على معرفة الشريعة الموسوية التي تُدعى أيضاً في اللغة الكتابية بالناموس؟ جواب الرسول هو: كل من أخطأ بدون الناموس أي بدون معرفة لشريعة موسى وخاصة للوصايا العشر فإنه بدون الناموس يهلك، وكل من أخطأ في الناموس أي من اليهود وسائر الدخلاء الذين نبذوا الوثنية والتصقوا بهم، فبالناموس يُدان. وإذا تابرنّا على السؤال: ولماذا ذلك؟ فإن الجواب هو: مع أن الأمم أي عابدي الأصنام ليس عندهم ناموس موسى إلا أن ذلك لا يعني أنهم بدون شريعة لأن الله وضع شريعته في قلب الإنسان منذ الخليقة. ومع أن الخطية قد شوّهت قلب

الإنسان بصورة مريضة إلا أنه لا يعيش بدون أية معرفة للشريعة. وذلك يظهر بكل وضوح عندما ندرس تاريخ الأمم الوثنية القديمة التي اشتهر بعضها بسن الشرائع والقوانين المختلفة لتنظيم حياة الإنسان. وضمير الإنسان إما يشهد مع هذه الشريعة المكتوبة على القلب بأن صاحبه مخطيء في ناحية ما وهو لذلك يستحق الإدانة أو انه بريء في تلك الناحية نظراً لعدم تعديه على أية شريعة. أما الذين يعرفون الشريعة الأدبية المعلنة للبشر بواسطة موسى النبي فإنه يتوجب عليهم عدم الاكتفاء بتلك المعرفة العقلية، وكذلك فإن الذين يسمعون الناموس وتفاسير الناموس عليهم ألا يخالوا بأنهم نظراً لذلك يصبحون أبراراً لدى الله، لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يتبررون. طبعاً ليس هناك أي مخلوق يستطيع القيام بذلك بشكل تام ولذلك فإننا بحاجة إلى طريقة أخرى للتبرير. نشكر الله أنه أظهرها لنا في إنجيله المقدس.

الدرس السادس

"١٧ هُوَذَا أَنْتَ تُسَمَّى يَهُودِيًّا وَتَتَكَلَّمُ عَلَى النَّامُوسِ وَتَفْتَخِرُ بِاللَّهِ ١٨ وَتَعْرِفُ مَشِيئَتَهُ وَتُمَيِّزُ الْأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ مُتَعَلِّمًا مِنَ النَّامُوسِ. ١٩ وَتَتَّقُ أَنْتَ قَائِدُ لِعُمَيَّانٍ وَنُورٌ لِلَّذِينَ فِي الظُّلْمَةِ ٢٠ وَمُهَذَّبٌ لِلْأَغْيَاءِ وَمُعَلِّمٌ لِلْأَطْفَالِ وَلَكَ صُورَةُ الْعِلْمِ وَالْحَقِّ فِي النَّامُوسِ. ٢١ فَأَنْتَ إِذَا الَّذِي تُعَلِّمُ غَيْرَكَ تُعَلِّمُ نَفْسَكَ؟ الَّذِي تَكْرُرُ أَنْ لَا يُسْرِقَ أَتَسْرِقُ؟ ٢٢ الَّذِي تَقُولُ أَنْ لَا يُزْنِي أَتَزْنِي؟ الَّذِي تَسْتَكْرَهُ الْأَوْثَانَ أَتَسْرِقُ الْهَيَاكِلَ؟ ٢٣ الَّذِي تَفْتَخِرُ بِالنَّامُوسِ أَتَبْعِدِي النَّامُوسَ تُهَيِّنُ اللَّهَ؟ ٢٤ لِأَنَّ اسْمَ اللَّهِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ بِسَبِّكُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ. ٢٥ فَإِنَّ الْخِتَانَ يَنْفَعُ إِنْ عَمِلْتَ بِالنَّامُوسِ. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتَ مُتَعَدِّيًا لِلنَّامُوسِ فَقَدْ صَارَ خِتَانُكَ غُرْلَةً! ٢٦ إِذَا إِنْ كَانَ الْأَغْرَلُ يَحْفَظُ أَحْكَامَ النَّامُوسِ أَفَمَا تُحْسَبُ غُرْلَتُهُ خِتَانًا؟ ٢٧ وَتَكُونُ الْغُرْلَةُ الَّتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ وَهِيَ تُكْمِلُ النَّامُوسَ تَدِينُكَ أَنْتَ الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالْخِتَانِ تَتَعَدَّى النَّامُوسَ؟ ٢٨ لِأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا وَلَا الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا ٢٩ بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لَا بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ الَّذِي مَدَحَهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللَّهِ" (رومية ٢: ١٧-٢٩).

إذ كان الرسول قد وجه معظم انتقاداته في القسم الأول من الفصل الثاني إلى الناس بصورة عامة فإنه يوجه الآن انتقاداته إلى اليهود في أيامه والذين كانوا منتشرين في عدة أنحاء من العالم والذين كانوا يقومون بعبادة الله بين الأمم الوثنية. وعلينا هنا أن نتذكر أن نظامهم الديني لم يكن مبنياً على تعاليم الكلمة الإلهية فقط لأنهم كانوا قد أحاطوها بتعاليم بشرية منافية لها. وقد كان السيد المسيح له المجد قد انتقدهم بشدة أثناء حياته على الأرض لتمسكهم بتقاليد واهية ولابتعادهم عن روح الكتاب. وكان الرسول ذاته قبل اهتدائه إلى الإنجيل من أشد اليهود تحمساً للتمسك بالحرف ونبذ الروح ولذلك فإنه عندما يتكلم الآن فإنه يتكلم عن اختبار شخصي.

١. معرفة الله والناموس والأمور الدينية معرفة عقلية أمر غير كاف.

ما الفائدة من معرفة الشريعة الموسوية والافتخار بأن الله قد كشف عن ذاته للأبواب والأجداد، ما فائدة المقدر على التمييز بين الأمور الجيدة والرديئة، ما الفائدة من المقدر على تعليم الأغبياء والأطفال، ما الفائدة من كل هذه الأشياء إن لم تكن قلبية؟ يريد الله من الجميع أكثر من كلام وفلسفة وعلم. يريد تعالى الحياة المبنية على تعاليمه المقدسة.

٢. معرفة الله معرفة عقلية لا تكفي لتغطية خطايا كبيرة ترتكب من قبل الإنسان.

إن أقرّ الإنسان الذي يعرف الله بأن السرقة خطية وأن الله ينهى عنها وأخذ يعظ الناس بالابتعاد عن كل ما يقرب إلى السرقة فهل هذا الإقرار والتعليم والوعظ كاف لتغطية

السرقة التي يرتكبها المتشدد بمعرفة الله؟ الذي تقول أن لا يزني أتزني؟ الذي تستكره الأوثان أتسرق الهياكل؟

٣. كان الله قد طلب من عبده وخليته إبراهيم أن يختن الصبيان من نسله في اليوم الثامن بعد ميلادهم كعلامة وختم للعهد الذي قطعه معه ومع نسله. الرمز هام ولكن الأهم هو الشيء المرموز إليه ألا وهو وعد الله والإيمان الذي يجب أن يوجد في قلب المختون. وعلى مر السنين والأجيال صار بنو إسرائيل يفتخرون بالعلامة الخارجية ويتكلمون عليها بدون أن يقرنوا ذلك بالإيمان الحي بوعد الله. وهكذا وقعوا فيما يسمى بالحرفية تاركين الروح والحقيقة المرموز إليها. وهكذا نفهم سؤال الرسول: إذا كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب غرلته ختانا؟ الاتكال على الرمز بصورة خارجية وحرفية لا ينفع مطلقاً. لأن الأغرل الذي لم يولد يهودياً في تلك الأيام ولكن كان يعمل حسب الناموس ويضع ثقته بالله إبراهيم وبالوعد الذي قطعه مع خليله الأمين يكون بالحقيقة حاصلاً على جميع ميزات الختان. وهكذا فإن الذي لم يكن يتمتع منذ ولادته بمعرفة الله معرفة حقيقية والذي اهتدى بعد ذلك إلى المعرفة الحقيقية لله وكتابه فإنه يدين بإيمانه وبحياته من كان قد ولد ضمن الإمتيازات الموعودة لنسل إبراهيم والذي لم يكن مؤمناً بمواعيد الله ولا عاملاً أي شيء سوى الاتكال على علامة خارجية كالختان.

٤. التدين الحقيقي المقبول لدى الله هو التدين القلبي الروحي لا الحرفي الظاهر.

هذا هو المبدأ الهام الذي به ينهي الرسول الفصل الثاني من رسالته إلى رومية. الله هو فاحص القلوب والكلى وهو يعرف الذين يعبدونه من قلب صادق ولا يقبل أولئك الذين يعبدونه ظاهرياً. والتحذير الرسولي باقٍ معنا وهو أن الختان الحقيقي هو ختان القلب الذي مدحه ليس من الناس بل من الله.

الدرس السابع

١١ إذا ما هو فضل اليهودي أو ما هو نفع الختان؟ ٢ كثير على كل وجه! أما أولاً فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله. ٣ فَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أَمْنَاءَ؟ أَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللَّهِ؟ ٤ حاشا! بَلْ لِيَكُنَ اللَّهُ صَادِقًا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبًا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «لَكِي تَتَبَرَّرَ فِي كَلَامِكَ وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْتَ». ٥ وَلَكِنْ إِنْ كَانَ إِثْمًا يُبَيِّنُ بَرَّ اللَّهِ فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ اللَّهُ الَّذِي يَجْلِبُ الْعَضْبَ ظَالِمٌ؟ أَتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الْإِنْسَانِ. ٦ حاشا! فَكَيْفَ يَدِينُ اللَّهُ الْعَالَمَ إِذْ ذَاكَ؟ ٧ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللَّهِ قَدْ أَزْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ فَمَاذَا أَذَانُ أَنَا بَعْدَ كَخَاطِي؟ ٨ أَمَا كَمَا يُفْتَرَى عَلَيْنَا وَكَمَا يَزْعُمُ قَوْمٌ أَنَّنَا نَقُولُ: «لِنَفْعَلِ السَّيِّئَاتِ لِكِي تَأْتِيَ الْخَيْرَاتُ». ٩ الَّذِينَ دَيُّونَتُهُمْ عَادِلَةٌ. ٩ فَمَاذَا إِذَا؟ أَنَحْنُ أَفْضَلُ؟ كَلَّا الْبَتَّةَ! لِأَنَّ قَدْ شَكُونَا أَنَّ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيئَةِ ١٠ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. ١١ لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللَّهَ. ١٢ الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَالِحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ. ١٣ حَنَجَرَتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. بِالْأَسِنَّتِهِمْ قَدْ مَكَّرُوا. سِمْ الْأَصْلَالَ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. ١٤ وَفَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً. ١٥ أَرْجُلُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ. ١٦ فِي طُرُقِهِمْ اغْتِصَابٌ وَسَخَقٌ. ١٧ وَطَرِيقُ السَّلَامِ لَمْ يَعْرِفُوهُ. ١٨ لَيْسَ خَوْفُ اللَّهِ فُذَامَ عُيُونِهِمْ». ١٩ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ لِكِي يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصِ مِنَ اللَّهِ. ٢٠ لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلِّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لِأَنَّ النَّامُوسَ مَعْرِفَةَ الْخَطِيئَةِ " (رومية ٣: ٢٠-١).

نأتي الآن إلى بعض الأسئلة والأجوبة التي سنراها أيضاً في فصول أخرى من هذه الرسالة والتي قد تكون اعتراضات واقعية كان الرسول قد لاقاها أثناء رحلاته التبشيرية أو أسئلة منطقية تساعد على فهم الموضوع حتى وإن لم تكن قد أقيمت على الرسول في اختبارات الماضي.

١. ما هو فضل من وُلِدَ في بيئة تعرف الله وما منفعة العلامات والرموز الدينية؟

كان سؤال الرسول الحرفي: ما هو فضل اليهودي وما نفع الختان؟ هذا هو اعتراض يمكن أن يكون قد جابهه الرسول عندما أظهر أن الانتماء إلى شعب كان يعرف الله ويعبده لم يكن في حد ذاته كافياً. جواب الرسول هو أن الامتياز الذي كان ينعم به شعبه كان امتيازاً عظيماً لأنهم كانوا قد استؤمنوا على أقوال الله أي على الوحي الإلهي المدون في أسفار العهد القديم. هذا امتياز عظيم لأن أكثرية الناس في أيام الرسول بولس كانوا يعبدون الأصنام وغير عارفين محتويات الكلمة الإلهية. إنه لامتياز عظيم أن يكون الإنسان في بيئة تعرف الله وكلمته لأن الاحتمال كبير أن يستفيد ذلك الإنسان من التراث الديني المحيط به.

ولكن إن لم يكن البعض أمناء لأقوال الله ولم يعملوا على تطبيقها في حياتهم أيّني ذلك أن الله هو غير أمين؟ حاشا، ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً.

٢. إن كانت خطية الإنسان تُظهرُ برَّ الله بشكل أكثر جلاءً ووضوحاً، أعلَّ الله ظالم عندما يعاقب الخاطيء؟

أن الله تعالى اسمه بار و قدوس وسامٍ في جميع صفاته الإلهية وبره يظهر لامعاً وساطعاً كما تظهر الشمس بعد ظلام الليل الدامس. لكن هذا لا يعني أن الله عليه ألا يعاقب مرتكب الخطية، أو أنه ظالم إن عاقب مرتكبها. كلا إن الله هو ديان عادل وليس في حكمه أي ظلم أو جور. يكره الله الخطية لأنها تغاير إرادته السنية وتعارض نواميسه المقدسة. وهكذا وإن أدت خطايا الإنسان إلى إظهار قداسة وبر الله بشكل قوي إلا أن ذلك المنطق غير سليم إن استنتج أن الله عليه عدم معاقبة الخاطيء.

٣. الاعتراض الثالث الذي واجهه الرسول هو مشابه للاعتراض الذي انتهينا من البحث فيه ويمكن تلخيصه كما يلي:

إن كان صدق الله قد ظهر بشكل واضح للغاية نظراً لكذبي أنا الإنسان وإن أدّى ذلك إلى إظهار مجد الله بصورة جلية للغاية، فلماذا أَدان أنا من الله كخاطيء؟ هنا نلاحظ أن المنطق الذي يُبنى عليه هذا السؤال وجميع الأسئلة التي تشابهه هو منطق خاطيء. طبعاً لا ننكر ذلك أن خطية الإنسان تظهر قداسة الله وأمانته وأن ذلك بدوره يظهر مجد الله وكيف أنه ليس كالإنسان المتغير الساقط في حماة الخطية والعصيان. ولكن هذا لا يدفعنا مطلقاً إلى الاستنتاج بأنه من واجب الله تعالى أن لا يعاقبنا كخطاة. الله لا يمكن أن ينكر نفسه. إنه الديان العادل وسيعاقب الخطاة لأنهم أخطأوا ضده وضد شريعته.

٤. كان البعض قد أشاعوا الأقاويل الكاذبة عن تعاليم الرسول ملخّصين إياها بهذه الكلمات: لنفعل السيئات لكي تأتي الخيرات. وهم كانوا بالحقيقة يبنون ذلك على استنتاجاتهم الخاطئة من تعليم الرسول أن خطية الإنسان تُظهر أمانة الله وأن كذب الإنسان يُظهر صدقَ الله بشكل جلي بنفس الطريقة التي يظهر بها مجد نور الشمس بعد انسحاب الظلام. ولكن الرسول لم يكن قد علم ذلك ولم يكن قد أعطى أية فرصة لهذا الاستنتاج الخاطيء وكل من يروّجون إشاعات كهذه عليه أو على تعليمه سينالون دينونة عادلة في اليوم الأخير نظراً لتحريفهم التعاليم الإلهية بخصوص تبرير الإنسان الخاطيء.

٥. الجميع تحت الخطية إن كانوا يهوداً أو يونانيين أي إن كانوا من عارفي الكلمة الإلهية كما كانت حالة اليهود في أيام بولس أو الوثنيين كاليونانيين وغيرهم من الأمم الوثنية القديمة. وهنا يستند الرسول بأقوال الكتاب المقدس لبرهان قوله.

٦. إن كان الجميع تحت الخطية فليس هناك إذن من يستطيع أن يخلص بواسطة أعمال وإن كانت هذه الأعمال مذكورة في الشريعة. الإنسان بغض النظر عن ولادته أو تراثه الديني هو خاطيء لا يستطيع أن يتبرر بحفظ الشريعة. على العكس تظهر الشريعة فداحة خطية الإنسان. لا بد إذن من طريقة أخرى للخلاص التي سنذكرها في درسنا المقبل.

الدرس الثامن

" ٢١ وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ ٢٢ بَرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ. ٢٣ إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَ هُمْ مَجْدُ اللَّهِ ٢٤ مُتَبَرِّرِينَ مَجَاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ٢٥ الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ لِإِظْهَارِ بَرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ. ٢٦ لِإِظْهَارِ بَرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لِيَكُونَ بَاراً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ. ٢٧ فَأَيْنَ الْاِفْتِحَارُ؟ قَدْ ائْتَفَى! بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَيْنَامُوسِ الْأَعْمَالِ؟ كَلَّا! بَلْ بِنَامُوسِ الْإِيمَانِ. ٢٨ إِذَا نَحْسِبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ. ٢٩ أَمْ اللَّهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلْأُمَّمِ أَيْضاً؟ بَلَى لِلْأُمَّمِ أَيْضاً؟ ٣٠ لِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ بِالْإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ بِالْإِيمَانِ. ٣١ أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالْإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ نُنْتَبِئُ النَّامُوسَ " (رومية ٣: ٢١-٣١).

"لأنه بأعمال الناموس كلُّ ذي جسد لا يتبرَّرُ أمامه. لأنَّ بالناموس معرفة الخطيَّة".
بهذه الكلمات انتهى الرسول بولس من الكلام عن فشل الإنسان في إرضاء الله بواسطة الأعمال وإن كانت الأعمال هذه مذكورة في الشريعة الإلهية ومطلوبة من الذين يعيشون تحت الشريعة. لم يكن الرسول يقلل بذلك من أهمية الشريعة الإلهية التي أعطيت لموسى النبي والتي ندعوها في اللغة الكتابية بالناموس. كان الرسول يشير إلى الحقيقة الصارخة بأن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بجميع متطلبات الشريعة لأنه خاطيء للغاية بغض النظر عن كونه يهودياً أي من أهل الكتاب في أيامه أو يونانياً أي من عابدي الأصنام. وليس ذلك فقط بل صارت الشريعة الإلهية تُظهر للإنسان خطيئته لأنها وإذ تعلن له الإرادة الإلهية تُظهر له في نفس الوقت الفشل الذريع الذي يصحبه في حياته الدينية والأخلاقية التي لم تعد مطابقة لنواميس الشريعة.

هل أغلقت جميع الأبواب في وجه الإنسان إذن؟ هل هناك أي منفذ للخلاص؟ هل عمل الله تدبيراً للخلاص يأخذ بعين الاعتبار حالة الإنسان الحاضرة، تلك الحالة التي يظهر فيها الإنسان عاجزاً عن القيام بمتطلبات الشريعة الإلهية. هذا هو جواب الرسول: "وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ بَرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ". طريق الإنقاذ بواسطة الأعمال مغلق ولكن الله فتح طريقاً آخر ألا وهو طريق الإيمان بعمل يسوع الفدائي الذي تم في ملء الزمن على صليب الجلجثة. هذه خلاصة الإنجيل وصلب الديانة المسيحية الكتابية: التبرير بالإيمان

بيسوع المسيح. وسوف يبحث الرسول في هذه العقيدة الأساسية في بقية أعداد هذا الفصل وفي الفصول الباقية من رسالته مبتدئاً بالأمر العقائدية ثم مظهراً تطبيقها في حياة الذين يقبلون التبرير بالإيمان بيسوع المسيح.

١. إن بر الله الذي يهبه مجاناً للمؤمن هو بدون الناموس أي أنه بر غير متعلق بأعمال الشريعة التي يقوم بها الإنسان. ولكن هذا لا يعني أن هذه الطريقة هي جديدة بمعنى أنها لم تكن معروفة في أيام العهد القديم أي أيام ما قبل الميلاد. كلا إن بر الله هو مشهود له من الناموس والأنبياء وهذه عبارة كتابية تشير إلى الأسفار المقدسة التي تكون العهد القديم أو ما يسمى أحياناً بالتوراة. وفي أماكن أخرى من العهد الجديد نرى أن هذه العبارة هي: الناموس (أو موسى) والأنبياء والمزامير. كان الله قد أشار إلى هذه الطريقة الوحيدة للتبرير في وحيه الفدائي الذي أعطاه لشعبه في أيام ما قبل المسيح. طبعاً لم تكن قد أظهرت بشكل واضح إلا متى تحقق الأساس الذي يبنى عليه التبرير ألا وهو مجيء يسوع المسيح إلى العالم وآلامه وموته وقيامته من الأموات.

٢. هذا البر الذي يجعل الإنسان باراً أمام المحكمة السماوية يحصل عليه بالإيمان. ليس على الإنسان سوى قبول طريقة الله الفعالة للتبرير لكي يصبح خالصاً وهذه الهبة المجانية التي يمنحها الله هي للجميع بغض النظر عن أصلهم وفصلهم لأنه ليس عند الله محاباة ولأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله.

٣. ليس إيمان الإنسان الأساس الذي يبنى عليه تبريره بل الأساس هو عمل يسوع الفدائي الذي قام به على الصليب. الإيمان ليس إلا اليد الفارغة التي تستلم من الله الخلاص العظيم الذي أعده لبني البشر. "مُتَبَرِّرينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعِ الْمَسِيحِ الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ"

٤. قام الله بهذا التدبير العجيب لخلاص الإنسان من الخطية ومن عواقبها الوخيمة لإظهار بره أو قداسته وكذلك من أجل إنقاذ الإنسان من الموت الأبدي الذي ينتظره إن ظل ثائراً على الله ومستعبداً للشر.

٥. ينقذ الله الإنسان من الموت ويعطيه جميع النعم التي يحتاجها من أجل الخلاص فلم يعد إذن أي مجال للافتخار. الله هو المخلص والإنسان يقبل الخلاص بالإيمان. طبعاً لو كان الخلاص بالأعمال لكان في مقدور الإنسان أن يفخر لأنه يكون إذ ذاك سبب خلاصه.

٦. خلاصة الأمر هي أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. هذا مبدأ أساسي للديانة المبنية على تعاليم الكتاب. لا يتبرر الإنسان بواسطة أعمال الشريعة لأنه لا يقدر أن

يقوم بجميع متطلباتها. يتبرر الإنسان بالإيمان بيسوع المسيح لأن الله أظهر هذه الطريقة الفريدة للتبرير.

٧. ما هو مكان الناموس أو الشريعة في حياة المبرر؟ هل يعيش المؤمن بدون ناموس؟ كلا، المؤمن لا يستطيع أن يتجاهل الشريعة الإلهية لأنها تصدر عن إرادة الله، لكنه لا يتكل على الشريعة للخلاص بل ينظر إليها كدليل للحياة التي يجب أن يحيها أمام الله أو كدستور لحياته، ذلك الدستور الذي يلخص بمحبة الله ومحبة القريب. لا يلغي الإيمان بالشريعة بل يثبتها واضعاً إياها في المكان اللائق بها ضمن برنامج الله لخلاص البشرية.

أسئلة

- ١- ما هي الفائدة التي نحصل عليها من دراستنا لرسائل العهد الجديد؟
- ٢- ما هي خلاصة تعاليم الرسالة إلى رومية؟
- ٣- ما هو تعريف الإنجيل حسب الرسالة إلى رومية؟
- ٤- كيف نستفيد من الإنجيل؟
- ٥- لماذا أصر الرسول بولس على أن العالم بأسره كان بحاجة ماسة إلى الخلاص؟
- ٦- هل مجرد معرفة إرادة الله معرفة عقلية كافٍ لإنقاذنا من الدينونة؟
- ٧- ما هو الناموس وهل كان الناموس موجوداً قبل أيام موسى؟
- ٨- لماذا لا يستطيع الإنسان أن يخلص بواسطة أعمال ناموس الشريعة الموسوية؟
- ٩- لماذا أشار الرسول بولس إلى حياة إبراهيم أثناء بحثه لموضوع التبرير؟
- ١٠- هل الاعتراضات التي توجه ضد عقيدة التبرير بالإيمان مبنية على تعاليم الكتاب؟
- ١١- ما هي علاقة عقيدة التبرير بالإيمان بسائر عقائد الوحي؟
- ١٢- ما هو الأساس الذي يبنى عليه تبرير الإنسان؟

الدرس التاسع

١٠ "فَمَاذَا نَقُولُ إِنَّ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ الْجَسَدِ؟ ٢ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ قَدْ تَبَرَّرَ بِالْأَعْمَالِ فَلَهُ فَحْرٌ - وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى اللَّهِ. ٣ لِأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «فَأَمَّنَ إِبْرَاهِيمَ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا». ٤ أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلَا تُحْسَبُ لَهُ الْأَجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. هُوَ أَمَّا الَّذِي لَا يَعْمَلُ وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ فَايْمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بَرًّا. ٦ كَمَا يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضًا فِي تَطْوِيْبِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَحْسَبُ لَهُ اللَّهُ بَرًّا بِدُونِ أَعْمَالٍ: ٧ «طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ أَنْثَمُهُمْ وَسِتِّرَتْ خَطَايَاهُمْ. ٨ طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَا يَحْسَبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيئَةً». ٩ أَفَهَذَا التَّطْوِيْبُ هُوَ عَلَى الْخِتَانِ فَقَطُّ أَمْ عَلَى الْغُرْلَةِ أَيْضًا؟ لِأَنَّا نَقُولُ إِنَّهُ حُسِبَ لِإِبْرَاهِيمَ الْإِيمَانَ بَرًّا. ١٠ فَكَيْفَ حُسِبَ؟ أَوْ هُوَ فِي الْخِتَانِ أَمْ فِي الْغُرْلَةِ؟ لَيْسَ فِي الْخِتَانِ بَلْ فِي الْغُرْلَةِ! ١١ وَأَخَذَ عَلَامَةَ الْخِتَانِ خْتَمًا لِبَرِّ الْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْغُرْلَةِ لِيَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْغُرْلَةِ كَيْ يُحْسَبَ لَهُمْ أَيْضًا الْبَرُّ. ١٢ وَأَبًا لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ الْخِتَانِ فَقَطُّ بَلْ أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطُواتِ إِيمَانِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَانَ وَهُوَ فِي الْغُرْلَةِ. ١٣ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّامُوسِ كَانَ الْوَعْدُ لِإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ بَلْ بِبَرِّ الْإِيمَانِ. ١٤ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الَّذِينَ مِنَ النَّامُوسِ هُمْ وَرَثَةُ فَقَدْ تَعَطَّلَ الْإِيمَانُ وَبَطَلَ الْوَعْدُ! ١٥ لِأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدُّ. ١٦ لِهَذَا هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطَيِّدًا لِجَمِيعِ النَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطُّ بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا. ١٧ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ أَبًا لِأُمَّمٍ كَثِيرَةٍ». أَمَّا اللَّهُ الَّذِي آمَنَ بِهِ الَّذِي يُخَيِّبِ الْمَوْتَى وَيَدْعُو الْأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ. ١٨ فَهَوَ عَلَى خِلَافِ الرَّجَاءِ آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ لِكَيْ يَصِيرَ أَبًا لِأُمَّمٍ كَثِيرَةٍ كَمَا قِيلَ: «هَكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». ١٩ وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا فِي الْإِيمَانِ لَمْ يَعْتَبِرْ جَسَدَهُ - وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتًا إِذْ كَانَ ابْنُ نَحْوَ مِئَةِ سَنَةٍ - وَلَا مُمَاتِيَّةً مُسْتَوْدَعَ سَارَةَ. ٢٠ وَلَا بَعْدَمَ إِيمَانِ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللَّهِ بَلْ تَقَوَّى بِالْإِيمَانِ مُعْطِيًا مَجْدًا لِلَّهِ. ٢١ وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا. ٢٢ لِذَلِكَ أَيْضًا حُسِبَ لَهُ بَرًّا. ٢٣ وَلَكِنْ لَمْ يَكْتَبْ مِنْ أَجْلِهِ وَحْدَهُ أَنَّهُ حُسِبَ لَهُ ٢٤ بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الْأَمْواتِ. ٢٥ الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبْرِيرِنَا. " (رومية ٤).

لقد قادنا الرسول إلى قلب الإنجيل ألا وهو أن الإنسان لا يقدر أن يتبرر أمام الله بواسطة الأعمال لأنه لا يقدر (نظراً لسقوطه في الخطية) أن يقوم بجميع ما تتطلبه شريعة الله من أعمال. الخلاص الآن ممكن نظراً لنعمة الله المجانية التي أظهرها للملأ بإرسال ابنه الوحيد يسوع المسيح إلى العالم الذي كفر عن خطايا العالم بموته على الصليب. ينتفع الإنسان من عمل يسوع الكفاري بواسطة الإيمان. ليس على الإنسان سوى الإيمان بما قام

به يسوع على الصليب فيحسب الله ذلك براً له. التبرير هو بالإيمان أو حسب قول الرسول في الفصل الثالث من رسالته إلى رومية: " إِذَا نَحْسِبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَّبِرُ بِالْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ ".

هذا التعليم الإنجيلي الذي أعلنه الرسول كان مغايراً بشكل صريح لتعاليم المدارس اليهودية إذ أنها مع اختلافاتها على بعض النقاط كانت تؤكد أن الإنسان كان يخلص بأعمال الشريعة وأن اليهود نظراً لانحدارهم من إبراهيم ونظراً لحصولهم على علامة الختان كانوا في أمان وأن خلاصهم كان أكيداً. اختلف الرسول بولس مع معلمي بني جنسه ولكنه لم يكن بذلك قد أتى ببدعة جديدة بل كان يؤكد تعليم الكتاب المقدس. وهذا يعني أن معلمي إسرائيل كانوا قد انصرفوا عن كلمة الله وأخفوها تحت آكام التقاليد البشرية الواهية واجتهادات علمائهم الدينيين المغايرة لروح كلمة الله.

من هو الحكم الذي سيفصل بين تعليم الرسول وبين تعاليم بني جنسه؟ من سيفصل لنا في صحة تعليم الرسول بأن الإنسان يتبرر بالإيمان لا بأعمال الناموس؟ جواب الرسول هو: إلى الكتاب. نعم لنذهب إلى كلمة الله المعصومة عن الخطأ ولنسأل: كيف يتبرر الإنسان؟

ولا نكاد نصل إلى الكتاب حتى تواجهنا شخصية جبارة سمت في أفق العصور القديمة على سائر شخصيات بني البشر، نعم يستقبلنا إبراهيم الخليل الذي نقرأ عنه في سفر التكوين وهو أول سفر كتبه النبي موسى والذي يبحث في خلق العالم والإنسان ودخول الخطية إلى العالم وفساد العالم القديم والطوفان ودعوة نوح إلى بدء جيل جديد، فانحرف أبناء نوح عن الطريق المستقيم، إلى أن نصل إلى نقطة انطلاق جديدة في دعوة إبراهيم من أور الكلدانيين في جنوب بلاد ما بين النهرين. إبراهيم هو الحكم. ماذا يعلمنا الكتاب عن إبراهيم؟ نتعلم من الكتاب أن إبراهيم لم يتبرر بالأعمال إذ أن نص كلمة الله هو " فَأَمَّنْ إِبْرَاهِيمَ بِاللَّهِ فَحَسِبَ لَهُ بَرًّا " نال إبراهيم بره بواسطة الإيمان لا بواسطة الأعمال وذلك كاف لتعليمنا أن الخلاص لا يكسبه الإنسان بواسطة أعماله بل يناله نظراً لنعمة الله المجانية بواسطة يد الإيمان الفارغة. وهذا هو تعليم النبي داود الذي تغنى في المزمور الثاني والثلاثين قائلاً " طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُيِّرَتْ خَطِيئَتُهُ. طُوبَى لِرَجُلٍ لَا يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيئَةً ".

متى حصل إبراهيم على بره؟ أكان ذلك بعد حصوله على علامة الختان أم قبل ذلك؟ يعلمنا الكتاب أن إبراهيم اختتن وكذلك الذين كانوا معه بعد تلك الحادثة الهامة في حياته. ولم يكن الختان سوى ختماً لبر الإيمان أو رمزاً لواقع كان قد جرى ضمن حياته. الختان لم يكن أساساً لبره بل عبارة عن رمز لبره.

هذا أن إبراهيم هو أب لجميع المؤمنين بالله بغض النظر عن كونهم من أهل الختان أو من غير أهل الختان. لعب الإيمان دوراً أساسياً في حياته إذ أنه اختبر أمراً فريداً لا يحدث في حياة الناس إلا وهو حصوله على ابن بعد اقترابه من عامه المئة وبعد كون سارة زوجته طاعنة في السن. آمن بالله برغم كل الأدلة المعاكسة وآمن أيضاً بأن المخلص سيأتي من نسله الذي به ستتبارك أمم الأرض. الإيمان إذن أساس نيلنا لتبرير الله لأن إبراهيم تبرر بتلك الوساطة. تعليم الرسول ينطبق على الكتاب وهو لذلك تعليم صحيح ومفرح.

الدرس العاشر

" ١ فَأَيْدٍ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ٢ الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالْإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللَّهِ. ٣ وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً فِي الضَّيِّقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا ٤ وَالصَّبْرُ تَرْكِيهًا وَالتَّرْكِيهَةُ رَجَاءٌ ٥ وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي لَأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا. ٦ لِأَنَّ الْمَسِيحَ إِذْ كُنَّا بَعْدَ ضَعْفَاءَ مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لِأَجْلِ الْفَجَارِ. ٧ فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدًا لِأَجْلِ بَارٍّ. رَبِّمَا لِأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدًا أَيْضاً أَنْ يَمُوتَ. ٨ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدَ خُطَاةٍ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. ٩ فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ. ١٠ لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَعَدَاءٌ قَدْ صُوِّلِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ. ١١ وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً بِاللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي نَلْنَا بِهِ الْآنَ الْمُصَالِحَةَ " (رومية ٥ : ١-١١).

لنراجع ما تعلمناه منذ بدء دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى أهل رومية:

كرس الرسول نفسه بنعمة الله للمناداة بالإنجيل لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، لأن في الإنجيل كشف الله عن طريقته للتبرير. يتبرر الإنسان بالإيمان بالله وبما قام به من أجل إنقاذه من الخطية والشر. خارج نعمة الله الخلاصية ليس هناك سوى غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس الذين يحجزون حق الله بأنامهم وخطاياهم. إن العالم بأسره هو في بحر الخطية إذ أن الإنسان لا يعبد الله ولا يُبقي معرفة الله في قلبه بل يعبد صنع يديه ويغرق في حماة الوثنية والانحطاط الأخلاقي.

إن شريعة الله المكتوبة على قلب كل إنسان وخاصة شريعته التي أعلنت لموسى والتي تعرف في الكتاب بكلمة ناموس أو توراة لا تخلص الإنسان لأنها عاجزة عن إعطائه المقدره والقوة اللازمين لتتميم جميع أوامر الشريعة. الإنسان إذن هو تحت دينونة الله بغض النظر عن أصله أو جنسه أو لونه. الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله.

لكن الرسالة المسيحية لا تقف عند ذلك الحد، إنها لا تتكلم عن وباء الإنسانية الخطير أي عن الخطية إلا لكي تنادي بدواء الله الناجح ألا وهو الإنجيل الخلاصي الذي أتمه يسوع بموته على الصليب وبقيامته من الأموات. في الإنجيل نرى الطريقة الوحيدة لنيل البر والخلص وذلك بالإيمان بما عمله الله من أجل خلاص الإنسان. وهذا تعليم ينافي تقاليد علماء اليهود ولكنه لا يخالف روح ونص كلمة الله التي كانت قد أعطيت إليهم إذ أنها تشهد بكل وضوح أن إبراهيم أبا المؤمنين تبرر بالإيمان لا بالأعمال. وذلك قبل حصوله على الختان الذي لم يكن إلا ختماً ورمزاً لبر الإيمان.

عندما يتبرر الإنسان يعلن باراً أمام محكمة الله أي كأنه لم يخطيء وذلك نظراً لاستحقاقات المسيح يسوع التي نالها أثناء حياته على الأرض وخاصة بموته على الصليب. لكن الخطية ليست فقط سبب وجود ستار فاصل بين الإنسان والله بل أنها أيضاً منبع الاضطرابات التي تعكر صفو حياة الإنسان وتجعله يعيش بضمير معذب نظراً لتعديده المستمر على نواميس الحياة. يشعر الإنسان دوماً بفشله الذريع في تتميم غايته في الحياة وذلك لعدم نجاحه في العيش حسب إرادة الله. فإن كان الإنجيل دواء الإنسان الشافي لا بد له من أن يعمل على شفاء هذا الداء الملم بصاحبه. لا يكفي أن يعدّ الإنسان باراً أمام المحكمة الإلهية بل يجب أن يشعر في قرارة نفسه بأن الله راضٍ عنه وأنه قد تصالح معه بصورة تامة وأكيدة. وهكذا نأتي إلى التأمل مع الرسول في ثمار هذا التبرير التي تصاحب كل مؤمن يمتثل لأوامر الكلمة الإلهية.

١. من ثمار التبرير بالإيمان:

السلام مع الله بواسطة الرب يسوع المسيح. كنا قد لاحظنا أن غضب الله هو معن من السماء على كل إنسان خاطيء، وهو أمر واقعي لا يمكن التهرب منه. لكن متى آمن الإنسان بالله وبطريقته الفريدة للتبرير فإنه يتخلص من غضب الله ويأتي ضمن نطاق سلام الله، ذلك السلام الذي يفوق كل عقل وتصور والذي لا يستطيع أي إنسان أن ينتزعه من الذي ناله بإيمانه الخلاصي.

٢. من ثمار التبرير أيضاً:

الدخول في نطاق النعمة الخاصة التي تجعل الخالص يعيش تحت عناية الله الخاصة والتي تجعله ينخرط في مدرسة الله التي تعدّه لنيل خلاصه التام والكامل لدى عودة المسيح إلى العالم في اليوم الأخير. هذا امتياز عظيم للغاية لا يمكن التعبير عن قيمته بكلمات بشرية وهو الذي يدفع المتبرر إلى أن يفتخر بالله مخلصه وبالمجد الذي سيعلم فيه في يوم القيامة.

٣. من ثمار التبرير أيضاً:

الافتخار بالضيقات والمصاعب التي لا تتوانى عن المجيء إلى حياة المؤمن. وهذه الضيقات هي جزء من التعليم الذي يناله المتبرر في مدرسة النعمة. والله لا يرسل الصعوبات إلى حياة المؤمن به إلا لكي يقوي أخلاقه ويحضره لحياة النعيم الخالية من كل خطية وشر.

٤. من ثمار التبرير أيضاً: الرجاء المسيحي:

إذ أن عمل الله الخلاصي الذي يبدأ في هذه الحياة لا ينتهي إلا في ساعة الموت ولدى رجوع المسيح إلى العالم. المسيحي خالص ومتبرر ولكن عليه أن يعمل دوماً على محاربة الخطية في حياته، ولذلك فإنه خالص بالرجاء الذي هو ليس مجرد أمل بشري بل من عمل الروح القدس المعطى لكل مؤمن.

٥. من أثمار التبرير أيضاً:

التأكد التام والمطلق بأن المؤمن لن يخسر هبة الله المجانية التي نالها بالإيمان وذلك نظراً للاعتبارات الآتية:

أ – مات السيد المسيح عن المؤمنين وهم بعد في حالة الضعف الروحي الشديد، وهم بعد في سلك الفجار، أي انه لم يوجد أي شيء ضمن حياة المؤمن الذي كان يستحق تضحية المسيح يسوع. في دنيا الإنسان لا يحدث هذا الشيء مطلقاً، إذ من هو الذي يود أن يموت من أجل رجل بار حسب المقاييس البشرية، أي الذي لا يتعدى على الشرائع المقبولة؟ قد يموت أحد من أجل الصالح حسب المقاييس البشرية، الذي يعمل أكثر من متطلبات الشرائع المعمول بها. لكن المسيح مات عن المؤمنين وهم بعد في حالة الخطية والموت الروحي والعداوة مع الله.

ب – إن مات المسيح عن الناس الذين لم يستحقوا فداءه الثمين فكم بالحري سيعتني بهم ويقودهم إلى ميناء السلام التام في نهاية حياتهم مساعداً إياهم أثناء جهادهم المقدس ضد الخطية والشر؟ ليس هناك إذن أي سبب للخوف بل على المتبرر أن يفتخر بالله منقذه.

الدرس الحادي عشر

١٢ من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع. ١٣ فإنه حتى الناموس كانت الخطيئة في العالم. على أن الخطيئة لا تحسب إن لم يكن ناموس. ١٤ لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي. ١٥ ولكن ليس كالخطيئة هكذا أيضاً الهبة. لأنه إن كان بخطيئة واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين. ١٦ وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية. لأن الحكم من واحد للدينونة وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير. ١٧ لأنه إن كان بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح. ١٨ فإذا كما بخطيئة واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. ١٩ لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً. ٢٠ وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطيئة. ولكن حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة جداً. ٢١ حتى كما ملكت الخطيئة في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا. " (رومية ٥: ١٢-٢١).

وصل الرسول بولس في بحثه العقائدي إلى النتيجة الآتية:

لا يستطيع الإنسان أن ينال البر بواسطة أعماله، وهذا يعود إلى فقدان الإنسان للمقدرة على عمل كل ما يطلب منه في شريعة الله. لكن الإنسان يستطيع أن يتبرر نظراً لمحبة الله العظمى التي جاءت بطريقة أخرى للتبرير ألا وهي الإيمان بيسوع المسيح. كان الله قد أرسل ابنه يسوع المسيح إلى العالم لكي يكفر عن خطايا الإنسان وليكسب أيضاً له البر الذي يحتاجه. يحصل الإنسان بواسطة الإيمان على غفران خطاياهم وعلى بر يسوع المسيح، ذلك البر الذي يكفي لتغطية جميع آثام الإنسان ولإعطائه السلام مع الله ومع نفسه.

وعندما تكلم الرسول عن هذه الطريقة الإنجيلية للتبرير كان بذلك قد جاء بمبدأ للتبرير قد يعترض عليه من قبل أعداء البشارة التي كان بولس ينادى بها ويضحى حياته في سبيل الدفاع عنها. والاعتراض قد يكون على هذه الشاكلة: كيف يجوز للإنسان الخاطيء أن يعد باراً من قِبَلِ الله نظراً لاتكاله على يسوع المسيح وعلى عمله الفدائي؟ هل يمكن أن يكون الخاطيء باراً؟ وبعبارة أخرى يحاول المعارض القضاء على الأساس الذي بنى عليه الرسول عقيدته للتبرير، فإذا أظهر أن الأساس هو خاطيء أو غير متناسق مع تعاليم كلمة الله فإن البناء العقائدي بأسره ينهار، وتصبح عقيدة التبرير بالإيمان بدون أعمال الناموس من وليدة الخيال لا من وحي الله.

جواب الرسول على هذا الاعتراض الذي يحاول نفس أساس التبرير بالإيمان هو أن الطريقة المتبعة في التبرير ليست طريقة جديدة أو مبتدعة. إن الله تعالى قد سار على نفس الطريقة بخصوص خطية أو معصية آدم الإنسان الأول. وهذا الذي سندرسه في القسم الثاني من الفصل الخامس من الرسالة إلى رومية.

١. الطريقة التي يمنح الله بها بر يسوع إلى المؤمنين به هي ذات الطريقة التي جعل بها نسل آدم خاطئاً نظراً لمعصية آدم.

هناك شبه في الطريقة التي يحسب بها البر والطريقة التي تحسب فيها الخطية ولكن هذا لا يعني أن الشبه تام بين آدم والمسيح إذ أن آدم بمعصيته أدخل الموت إلى العالم بأسره، بينما بإطاعة يسوع لله وبموته الكفاري على الصليب كسب البر والخلص لجميع المؤمنين به.

٢. سببت الخطية دخول الموت إلى الجنس البشري بأسره وهكذا نرى أن جميع الناس منذ آدم إلى موسى ماتوا، وإن لم يكونوا قد أخطأوا بنفس الطريقة التي أخطأ بها أبوهم آدم. وهذا يعني أن الشريعة كانت موجودة – ولو أنها لم تكن قد أعطيت بنفس الشكل الذي أعطيت به إلى موسى – إذ أنه إن لم يكن هناك شريعة قبل موسى لا تحسب الخطية إذ أن الخطية هي التعدي على الناموس أو الشريعة الإلهية. ولكن بما أن الناس كانوا يموتون فلا بد من أن الخطية كانت تحسبه وإن كانت الخطية تحسب فهذا يعني أن الشريعة كانت موجودة وسارية المفعول.

٣. مات الناس بسبب خطية آدم وذلك لأنه كان يمثل البشرية بأسرها أثناء حياته في جنة عدن وخاصة أثناء امتحانه من الله. لما سقط آدم سقط الجنس البشري بأسره وحُسِبَت خطية آدم خطية جميع أفراد البشرية. نرى إذن أن الله كان يسير على مبدأ التمثيل بمعنى أنه حسب آدم ممثلاً للجنس البشري بأسره.

٤. إن مبدأ التمثيل يسري أيضاً على طريقة الخلاص من الخطية وبشكل أقوى وأعظم. فكما أن الناس حُسِبوا خطاة لسقوط آدم في الخطية وذلك بمعصية واحد كذلك فإن المؤمنين بيسوع من أفراد البشرية سيحسبون أبراراً بالرغم من وجود خطية آدم وخطاياهم العديدة التي ارتكبوها في حياتهم. "لأنه كما بمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هَكَذَا أَيْضاً بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً".

٥. طبعاً إن الناس في العالم القديم كانوا قد غرقوا في الخطية إلى هكذا درجة حتى أنهم لم يعرفوا خطورة حالتهم وهكذا فإن الله أعطى شريعته بشكل إعلان وحي، وهذا الوحي أدى إلى اشتداد رحي الحرب الروحية في حياة الإنسان وإلى تكاثر الخطايا. ولكن حيث

كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر
للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا.

الدرس الثاني عشر

" ١ فَمَاذَا نَقُولُ؟ أُنَبِّئُ فِي الْخَطِيئَةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ ٢ حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيئَةِ كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدَ فِيهَا؟ ٣ أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلٌّ مِّنْ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ ٤ فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ هَكَذَا نَسَلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ. ٥ لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ. ٦ عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْتَطَلَ جَسَدُ الْخَطِيئَةِ كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيئَةِ. ٧ لِأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيئَةِ. ٨ فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضاً مَعَهُ. ٩ عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يَمُوتُ أَيْضاً. لَا يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ. ١٠ لِأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيئَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً وَالْحَيَاةَ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا لِلَّهِ. ١١ كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتاً عَنِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنْ أَحْيَاءَ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. ١٢ إِذَا لَا تَمْلِكَنَّ الْخَطِيئَةُ فِي جَسَدِكُمْ الْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ ١٣ وَلَا تُقَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ الْآتِ إِنَّمِ لِلْخَطِيئَةِ بَلْ قَدِّمُوا دَوَاتِكُمْ لِلَّهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ الْآتِ بِرِّ لِلَّهِ. ١٤ فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ لَنْ تَسُودَكُمْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ " (رومية ٦: ١-١٤).

ليست هناك من عقيدة إلا ويمكن لها أن تتغير متى أساء الناس فهمها، بغض النظر عن كونهم محبّذين لها أو معارضين لها من البداية. وهكذا نجد أن عقيدة التبرير بالإيمان بدون أعمال الناموس قد أسيء فهمها من قبل العديد من الناس وكذلك حرفت من قبل بعض الغيورين المتحمسين الذين ينقادون للعواطف البشرية الرجراجة ولا يهتمون بالخضوع دوماً لكلمة الله ولتعاليمها المتوازنة.

كان الرسول بولس قد علّمنا في مجرى بحثه لعقيدة التبرير بالإيمان أن الناموس دخل لكي تكثر الخطية ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً. وكان يشير في تلك الكلمات إلى دخول الشريعة المكتوبة أو ناموس موسى إلى العالم. كان العالم يتعدى على شريعة الله المنقوشة على القلب ولكن الخطية ازدادت إلى هكذا درجة حتى أن الناس لم يعودوا يعرفون مقدار ضلالهم ولا فضاة شرورهم. ولما أعطى الله شريعته بواسطة عبده موسى فإن ذلك الوحي لم يكن قادراً على إصلاح حالة البشرية الساقطة، بل على العكس أظهرت الشريعة المكتوبة مقدار ابتعاد الناس عن الله وكذلك أضربت ناراً شديدة في قلوب الناس لأنهم متى عرفوا محتويات الشريعة لم يعملوا على التقيد بها بل ازدادوا شروراً وخطية. لكن نعمة أو عطية الله الخلاصية كانت أقوى من الخطية بكثير حيث أنها لما ظهرت في عمل يسوع الفدائي كانت كافية للقضاء على الخطية وعلى سائر نتائجها الوخيمة.

وهنا قد يعترض أحدهم على بولس قائلاً: إن العقيدة التي تدافع عنها والتي تنشرها في رحلاتك التبشيرية هي عقيدة خطيرة ومضرة بالحياة الأخلاقية. إن الخطر يكمن في تعليمك بأن النعمة ازدادت جداً حيث كثرت الخطية، إذ قد يؤول تعليمك إلى البقاء في الخطية لكي تكثر النعمة. هذا اعتراض خطير للغاية وجواب الرسول عليه هو: حاشا. نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟

الإنجيل الذي نادى به الرسول والذي يعلم بأن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس يعلم أيضاً بأن المؤمن بيسوع المسيح يتّحد مع مخلصه بشكل يختبر ضمن حياته عمل يسوع الفدائي على الصليب. وهذا أمر هام للغاية يجب ألا ننساه وهو أن التبرير أمام المحكمة الإلهية لا يحدث بمفرده بل إن الله يقوم بتنفيذ بقية نقاط التدبير الخلاصي الذي أعده منذ الأزل، ضمن حياة المؤمن. فانتقاد الرسول والعقيدة التي بشر بها عن التبرير لا يحدث إلا متى عزلت هذه العقيدة بطريقة خاطئة عن بقية العقائد التي تعلمها الكلمة الإلهية.

١. لا يتخذ المؤمن بيسوع المسيح شعاراً لحياته الجديدة: لنبقَ في الخطية لكي تكثر النعمة. إنه عندما ينظر إلى حياته الماضية التي عاشها خارج نطاق نعمة الله الخلاصية يختبر قول الرسول في أنه لما كثرت الخطية في حياته إلى درجة أنه كان عبداً لها، أتى الله إلى نجدته بنعمته المخلصة التي كانت أشد قوة من الخطية. لكن حياته الحاضرة والمستقبلية هي حياة جديدة غير خاضعة للخطية كما كانت حياته السابقة.

٢. المعمودية المسيحية تعني أن الإنسان الذي أخذ رمز وختم التبرير قد شارك الرب يسوع المسيح في اختبارات الفداء التي جرت على الصليب حتى أنه يستطيع أن يقول بأنه دفن معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب هكذا يسلك في جدة الحياة. الإنسان العتيق أو الحياة الماضية التي عاشها الإنسان بدون معرفة الله معرفة حقيقية وبدون محبته ومحبة القريب، ذلك الإنسان إنما صلب أي مات لكي يبطل جسد الخطية. وبما أن ذلك قد جرى في حياة المؤمن فإنه أصبح حراً من طغيان وعبودية الخطية. هكذا إنسان متحرر لا يعيش في الخطية وإن كان عليه أن يستمر في محاربتها إلى أن ينال النصر النهائي لدى انتقاله من هذه الحياة الفانية إلى حياة النعيم الكاملة.

٣. ليس المؤمن بيسوع المسيح وبعمله الفدائي على الصليب بالإنسان الذي يتّخذ عقيدة عقلية أو سطحية للسير عليها في حياته بل إنما هو الإنسان الذي يختبر واقعاً حقيقياً ضمن حياته والذي هو من عمل الله الذي لا يمكن إنكار وجوده. وهكذا فإن المؤمن الذي شعر بثمار التبرير في حياته هو في نفس الوقت الإنسان الذي يحسب نفسه مائتاً بالنسبة للخطية ولكن حياً لله بواسطة ربه ومخلصه يسوع المسيح. إنه لا يعترف بسلطان الخطية

والشيطان على حياته لأن حياته القديمة قد ولت وحياته الجديدة هي لله ولمجده تعالى ولخيرهِ وسعادته الحقيقية.

٤. لن تسود الخطية على من ذاق خلاص الرب. ولماذا؟ لأن المتبرر بإيمانه بيسوع لم يعد يعيش تحت نطاق أو سلطة الناموس بل ضمن نطاق النعمة، وهذه النعمة قد حررتَه من سلطة الخطية ومن الخوف الذي كان عالقاً به نظراً لعدم تمكّنه من القيام بجميع أوامر الناموس. هذا لا يعنى أن المؤمن يعيش بدون شريعة لأن ذلك غير ممكن ولكن المؤمن قد انتقل من حالته الأولى التي كانت مدانة من الناموس إلى حالته الجديدة التي تبررت بالإيمان.

الدرس الثالث عشر

١٥" فَمَاذَا إِذَا؟ أُنْخِطِي لِأَنَّنا لَسْنَا تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ؟ حَاشَا! ١٦ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي تُقَدِّمُونَ دَوَاتِكُمْ لَهُ عِبِيداً لِلطَّاعَةِ أَنْتُمْ عِبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ إِمَّا لِلخَطِيئَةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلحَيَاةِ؟ ١٧ فَشُكْرًا لِلَّهِ أَنْكُمْ كُنْتُمْ عِبِيداً لِلخَطِيئَةِ وَلَكِنَّكُمْ أُطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا. ١٨ وَإِذْ أُعْتَقْتُمْ مِنَ الخَطِيئَةِ صِرْتُمْ عِبِيداً لِلحَيَاةِ. ١٩ أَتَكَلَّمُ إِنْسَانِيًّا مِنْ أَجْلِ ضَعْفِ جَسَدِكُمْ. لِأَنَّهُ كَمَا قَدَّمْتُمْ أَعْضَاءَكُمْ عِبِيداً لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ لِلإِثْمِ هَكَذَا الْآنَ قَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ عِبِيداً لِلحَيَاةِ. ٢٠ لِأَنَّكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ عِبِيداً لِلخَطِيئَةِ كُنْتُمْ أَحْرَاراً مِنَ الحَيَاةِ. ٢١ فَأَيُّ ثَمَرٍ كَانَ لَكُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَسْتَحُونَ بِهَا الْآنَ؟ لِأَنَّ نِهَايَةَ تِلْكَ الْأُمُورِ هِيَ الْمَوْتُ. ٢٢ وَأَمَّا الْآنَ إِذْ أُعْتَقْتُمْ مِنَ الخَطِيئَةِ وَصِرْتُمْ عِبِيداً لِلَّهِ فَلكُمْ ثَمَرُكُمْ لِلقَدَاسَةِ وَالنِّهَايَةَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً. ٢٣ لِأَنَّ أَجْرَةَ الخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا " (رومية ٦: ١٥-٢٣).

لا يزال الرسول بولس يعمل على تفسير الأمور المتعلقة بعقيدة الإنجيل الأساسية: أي التبرير بالإيمان. وقد تعلمنا في الدرس السابق أن هناك قوم يسيئون فهم هذه العقيدة ويعلنون بأنها ضارة بالحياة الأخلاقية. وقد أجاب الرسول على جميع الاعتراضات التي قد تصوب ضد التبرير بالإيمان بإفهامنا أن التبرير ليس عبارة عن أمر خارجي أو سطحي يحدث في مخيلة أو عقل الإنسان بل إنه واقع قلبي يجعل المؤمن متحداً مع ربه يسوع المسيح ومشاركاً له في الموت والقيامة. المؤمن بيسوع يموت عن الخطية ويحيا لله، إن حياته الماضية قد ولت وحياته الجديدة هي للمسيح وبالمسيح. وقد أنهى الرسول كلامه عن وحدة المؤمن مع مخلصه بالقول: فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة. وهذا التعليم الرسولي يمكن أيضاً إساءة فهمه أو تحويره أو تحريفه من قبل الناس ولذلك فإن الرسول يبدأ بالسؤال "فَمَاذَا إِذَا؟ أُنْخِطِي لِأَنَّنا لَسْنَا تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ؟" هذا الموضوع حساس لدرجة كبيرة ولذلك يجدر بنا أن نكون على حذر كبير ونحن نبحث فيه. ما معنى كلمات تحت الناموس وتحت النعمة؟

كل إنسان هو تحت الناموس حسب طبيعته البشرية أي أن كل إنسان خاضع لناموس أو شريعة الله مثلما يخضع المواطن لشرائع وقوانين بلاده. وعندما نأتي إلى الناموس الإلهي فإننا نلاحظ أن الإنسان يتعدى على نصوصه بشكل مستديم. فالإنسان إذاً هو خاطيء وشريعة الله تدينه وتحكم عليه بالموت. ليس هناك أي خلل في الشريعة ولا يمكننا أن نلومها لكن الإنسان الخاطيء لا يجد حياته في الشريعة لأنها تحكم عليه ولا تساعد على الخلاص من دينونتها.

كيف يمكن للإنسان أن يخلص من دينونة الشريعة؟ جواب الرسول هو أن الله قد أعد تدبيراً فعالاً للخلاص بإرسال ابنه إلى العالم للقيام بالنيابة عن الإنسان بجميع متطلبات الشريعة وللتكفير عن جميع خطايا الإنسان. ينال الإنسان فوائد عمل يسوع المسيح بالإيمان ويعده الله باراً. لم يستحق الإنسان الخلاص ولكن الله أعد ذلك لمحبه العظمى ووهب الإنسان الخلاص بصورة مجانية. هذا ما يدعو الرسول بالنعمة. الإنسان الذي نال بره بالإيمان بيسوع المسيح يكون إذاً قد انتقل من الحياة تحت الناموس إلى الحياة تحت النعمة. هذا يعني أن الخالص لم يعد ملزماً على كسب الحياة الأبدية بالقيام بجميع أوامر الناموس – وهذا أمر مستحيل نظراً لسقوط الإنسان – بل إنه ينال الحياة كهبه مجانية بواسطة يسوع المسيح. لكن الإنسان الذي لم يؤمن بيسوع المسيح فهو لا يزال تحت الناموس أي أنه مرغم على القيام بجميع متطلبات الناموس لكسب الحياة الأبدية، ولكن بما أن هذا أمر مستحيل فإن هذا الإنسان هو تحت دينونة الناموس وليس أمامه سوى الموت الأبدي.

يمكننا الآن أن نأتي إلى البحث في علاقة المؤمن المتبرر بالناموس. إنه يعلم علم الأكيد أن خلاصه هو من نعمة الله المجانية وإنه ليس تحت الناموس ولكن هل يستنتج من ذلك بأنه يستطيع أن يتماذى في الخطية وأن ينجو من الدينونة لأنه ليس تحت الناموس بل تحت النعمة؟ كلا، إن المؤمن يقول مع الرسول بكل شدة "حاشا". لماذا يستبعد المؤمن هكذا فكرة عن أفق تفكيره وحياته؟

ينظر المؤمن إلى الحياة بأسرها كعبودية أي أن الإنسان هو إما عبد للخطية أو للبر والقداسة. عندما كان المؤمن في حياته السابقة أي قبل أن ينال بره من المسيح كان عبداً للخطية ولكنه حالما آمن بيسوع المسيح تحرر من عبوديته للخطية وصار عبداً للمسيح. طبعاً هذا لا يعني أن الإنسان الذي نال بره من المسيح هو عبد بنفس الطريقة التي نتكلم بها عن عبودية الإنسان العائش في الخطية. إن عبد المسيح هو حر ينعم بكل امتيازات البنوة والملكوت ولكننا نتكلم عن علاقة المؤمن بيسوع لاجئين إلى مثل العبودية لفهم موضوعنا فقط ونظراً لضعفنا البشري.

هل يمكن للذي تحرر من الخطية أن يستمر في الخطية وفي عبوديتها؟ طبعاً هذا أمر مستحيل. فالإنسان هو في أحد حالتين: إما هو مستبعد للخطية أو للمسيح يسوع. وكما أن الإنسان قبل إيمانه بيسوع كان مستعبداً للخطية يقوم بجميع رغباتها وشهواتها النجسة، وكان بذلك غير مهتم بإرضاء الله، هكذا يصبح المؤمن مطيعاً لله وراغباً في القيام بجميع ما يطلبه منه.

ليس المؤمن تحت الناموس ولكنه لا يحيا بدون الناموس لأن الناموس يبقى دوماً إعلان الإرادة الإلهية لحياة الإنسان ودستورها الذي يجب أن تسير عليه. لكن الناموس لم يعد يدين المؤمن لأن المؤمن نال بره من المسيح الذي قام بجميع متطلبات الناموس، وهكذا فإن

المؤمن لا يسعى لكسب حياته الأبدية بواسطة الناموس بل إنما ينال ذلك كهبة مجانية من الله تعالى.

خلاصة الأمر أن الخطية تستعبد الإنسان وإذا لم يتخلص منها فإن نهايته الموت ولكن الله تعالى يهبنا الحياة الأبدية بالإيمان بيسوع المسيح مخلصنا الوحيد.

الدرس الرابع عشر

١ "أَمْ تَجْهَلُونَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ - لِأَيِّ أَكَلِمِ الْعَارِفِينَ بِالنَّامُوسِ - أَنَّ النَّامُوسَ يَسُودُ عَلَى
الإنسانِ مَا دَامَ حَيًّا. ٢ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَحْتَ رَجُلٍ هِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ بِالرَّجُلِ الْحَيِّ. لَكِنْ
إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ فَقَدْ تَحَرَّرَتْ مِنْ نَامُوسِ الرَّجُلِ. ٣ فَإِذَا مَا دَامَ الرَّجُلُ حَيًّا تُدْعَى زَانِيَةً إِنْ
صَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ فَهِيَ حُرَّةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى إِنَّهَا لَيْسَتْ زَانِيَةً إِنْ
صَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ. ٤ إِذَا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ مُتُّمُ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ لِكَيْ تَصِيرُوا
لِآخَرَ لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ لِنُثْمَرِ لِلَّهِ. ٥ لِأَنَّهُ لَمَّا كُنَّا فِي الْجَسَدِ كَانَتْ أَهْوَاءُ الْخَطَايَا الَّتِي
بِالنَّامُوسِ تَعْمَلُ فِي أَعْضَائِنَا لِكَيْ نُثْمَرَ لِلْمَوْتِ. ٦ وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ إِذْ مَاتَ
الَّذِي كُنَّا مُمَسَكِينَ فِيهِ حَتَّى نَعْبُدَ بِحِدَّةِ الرُّوحِ لَا بَعْتَقِي الْحَرْفِ. ٧ فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ النَّامُوسُ
خَطِيئَةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ نَعْرِفِ الْخَطِيئَةَ إِلَّا بِالنَّامُوسِ. فَإِنِّي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلْ
النَّامُوسُ «لَا تَشْتَهَ». ٨ وَلَكِنَّ الْخَطِيئَةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِي كُلِّ شَهْوَةٍ. لِأَنَّ
بِدُونِ النَّامُوسِ الْخَطِيئَةُ مَيِّتَةٌ. ٩ أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بِدُونِ النَّامُوسِ عَائِشًا قَبْلًا. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَتْ
الْوَصِيَّةُ عَاشَتْ الْخَطِيئَةُ فَمُتُّ أَنَا. ١٠ فَوُجِدَتِ الْوَصِيَّةُ الَّتِي لِلْحَيَاةِ هِيَ نَفْسَهَا لِي لِلْمَوْتِ.
١١ لِأَنَّ الْخَطِيئَةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ حَدَعْتَنِي بِهَا وَقَتَلْتَنِي. ١٢ إِذَا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ
وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ. ١٣ فَهَلْ صَارَ لِي الصَّالِحُ مَوْتًا؟ حَاشَا! بَلِ الْخَطِيئَةُ لِكَيْ
تُظَهَرَ خَطِيئَةٌ مُنْشِئَةً لِي بِالصَّالِحِ مَوْتًا لِكَيْ تَصِيرَ الْخَطِيئَةُ خَاطِنَةً جِدًّا بِالْوَصِيَّةِ. ١٤ فَإِنَّا نَعْلَمُ
أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيئَةِ. ١٥ لِأَيِّ لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ إِذْ
لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ بَلْ مَا أَبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. ١٦ فَإِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِنِّي أَصَادِقُ
النَّامُوسَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ١٧ فَالآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. ١٨ فَإِنِّي أَعْلَمُ
أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ أَيُّ فِي جَسَدِي شَيْءٌ صَالِحٌ. لِأَنَّ الْإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ
الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ " (رومية ٧: ١-١٣).

من المهم جداً أن يحدد المؤمن موقفه من شريعة الله ولذلك فإن الرسول لا يزال يبحث
في الفصل السابع من رسالته إلى رومية عن موضوع الشريعة.

١. تعتبر الشريعة عن إرادة الله المختصة بحياة الإنسان. الشريعة هي النظام الذي يجب
أن يسود حياة الإنسان كخليقة لله.

٢. كان الإنسان الأول آدم قادراً على القيام بأوامر الشريعة والابتعاد عن الأمور التي
منعتها الشريعة. لكن آدم اختار أن يتعدى على أمر الله. وبمعصيته سقط في الخطية وجلب
غضب الله عليه وعلى نسله.

٣. فقد الإنسان بعد السقوط المقدر على القيام بمتطلبات الشريعة. لم تتغير الشريعة
لأنها من مصدر إلهي ولكن الإنسان تغير إذ أنه صار عبداً للخطية.

٤. فقدان المقدرة على القيام بمتطلبات الشريعة لم يعن أن الناس أصبحوا أحراراً منها بل أنهم بقيوا تحت سلطتها. لكنهم نظراً لفشلهم في الحياة حسب الشريعة أصبحوا تحت دينونتها.

٥. الحصول على الحياة الأبدية غير ممكن بواسطة الشريعة لأنها عاجزة عن إعطاء الإنسان القوة أو المقدرة للقيام بجميع متطلباتها.

٦. أعلن الله عن طريقة جديدة للخلاص ألا وهي بواسطة الإيمان بيسوع المسيح وبعمله الفدائي.

لكن الشريعة لا تلغى ولا تختفى من الوجود نظراً لبروز تدبير جديد للخلاص. المهم إذاً تحديد موقف المؤمن من الناموس. وهذا ليس بالأمر النظري بل إنه هام للغاية ويجدر بنا أن نصغي إلى تعليم الرسول وألا ننحرف عنه يميناً أو يساراً.

١. المؤمن قد مات بالنسبة إلى الشريعة فهو لذلك ليس تحت الشريعة بمعنى أنه غير مرغم للعمل بجميع متطلبات الشريعة لنيل الحياة الأبدية. يلجأ الرسول إلى مثل مأخوذ من الحياة البشرية بصورة عامة عندما يصرح مثلاً بأن الشريعة تسود على الإنسان مادام حياً. إذ أنه لا يمكن للشريعة أن تطبق بحق إنسان متى مات هذا الإنسان. ومن القاعدة العامة ينتقل الرسول إلى قضية الزواج. المرأة المتزوجة مرتبطة حسب الشريعة بزوجها بشكل أنه لا يجوز لها أن تكون زوجة لرجل آخر. لكن متى مات الزوج فإن الزوجة لها مطلق الحرية بأن تتزوج من رجل آخر بدون أن تصبح زانية.

يختبر المؤمن بيسوع المسيح في حياته أمراً مماثلاً. إنه يموت للشريعة بجسد المسيح، إذ أن مخلصه قد قام بالتكفير عن خطايه على الصليب وبكسب البر له بحياته الكاملة. لم يعد المؤمن تحت الشريعة كقاعدة لكسب البر والحياة الأبدية، بل إنه صار للمسيح يسوع. لما كان المؤمن بدون إيمانه أي قبل اهتدائه إلى الإيمان القويم كانت حياته تثمر ثمار الخطية المؤدية إلى الموت الأبدي. أما الآن فإن حياة المؤمن الجديدة تثمر ثمار البر للحياة الأبدية.

٢. هل يعني ما ذكرناه بأن الشريعة خطية؟ كلا. كيف يمكن لإرادة الله بأن تكون خطية أو شريرة؟ حاشا. الشريعة ليست خطية لكن الشريعة في حالة الإنسان الحالية (وهي حالة ساقطة) إنما تعمل على إظهار الخطية. الداء لا يعرف خطورة حالته بل يظن أنها طبيعية وجيدة. ولكنه عندما يسمع إحدى وصايا الشريعة مثل الوصية العاشرة التي تقول: لا تشتهه! فإنه يبدأ بالشعور بثورة طبيعته البشرية الساقطة ضد الوصية. مثلاً كان بولس قبل اهتدائه إلى المسيحية يشعر بأن حياته كانت على أحسن ما يرام. كان يعيش بدون الشريعة ليس

بمعنى أنه لم يكن ملماً بحرف الشريعة أو نصها – هذا غير ممكن لأنه ولد في بيت يهودي ودرس اللاهوت (أي علم الكلام) في القدس – ولكن بمعنى أنه لم يكن عالماً بروح الشريعة. كان أثناء تلك المرحلة من حياته عائشاً ليس بمعنى أنه كان ينعم بالحياة الأبدية، ولكن بمعنى أن حياته كانت خالية من الاضطراب الذي تحدثه الوصية الإلهية متى عرفت كما يجب. لكن حالما عرف بولس بروحانية الوصية عاشت الخطية فيه أي أنها هبت إلى العمل ضمن حياته، ومات (بمعنى انه دين من الشريعة).

٣. الشريعة مقدسة والوصايا العشر مقدسة وعادلة وصالحة ولا يمكن النظر إليها كسبب للخطية والموت. كلا، إن الخطية الموجودة في الإنسان تصبح أكثر فعالية نظراً لوجود الشريعة وهكذا تأتي بالإنسان إلى الموت. الشريعة إذاً عاجزة عن إعطاء الإنسان ما هو في أمس الحاجة إليه فلا بد إذن من النظر إلى طريقة أخرى للحصول على الحياة. نشكر الله لإعطائنا الطريقة الفعالة للخلاص بواسطة ابنه يسوع المسيح وكنعمة مجانية نقبلها بالإيمان.

الدرس الخامس عشر

" ١٤ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيئَةِ. ١٥ الْآيُّ لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. ١٦ فَإِن كُنْتُ أَفْعَلُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّيْ أُصَادِقُ النَّامُوسَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ١٧ فَالآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. ١٨ فَإِيَّيْ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ أَيَّ فِي جَسَدِي شَيْءٌ صَالِحٌ. لِأَنَّ الْإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. ١٩ الْآيُّ لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ بَلِ الشَّرِّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. ٢٠ فَإِن كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِيَّاهُ أَفْعَلُ فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. ٢١ إِذَا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنْ الشَّرِّ حَاضِرٌ عِنْدِي. ٢٢ فَإِيَّيْ أَسْرُّ بِنَامُوسِ اللَّهِ بِحَسَبِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. ٢٣ وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. ٢٤ وَيُحْيِي أَنَا الْإِنْسَانَ الشَّقِيَّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟ ٢٥ أَشْكُرُ اللَّهَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبَّنَا! إِذَا أَنَا نَفْسِي بِذِهْنِي أَحْدِمُ نَامُوسَ اللَّهِ وَلَكِنِ بِالْجَسَدِ نَامُوسَ الْخَطِيئَةِ " (رومية ٧: ١٤-٢٥).

نأتي الآن في دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى الكنيسة المسيحية في رومية إلى قسم هام يتكلم فيه الرسول عن الحياة التي يحيها المؤمن الذي نال بره من الله بإيمانه بيسوع المسيح. وقد تعلمنا سابقاً أن المؤمن هو ضمن نطاق النعمة وأنه قد تحرر نهائياً من الشريعة كطريقة لكسب الحياة الأبدية. ما هي الحياة التي يحيها المؤمن في هذه الدنيا؟ هل هي حياة خالية تماماً من الخطية ومن آثارها؟ أم هل على المؤمن الذي نال بره مجاناً والذي تخلص من عبودية الخطية أن يستمر في محاربة الإنسان العتيق أو الطبيعة البشرية الساقطة؟ أين تدور رحى الحرب الروحية التي يخوض غمارها؟ أضمن نفسه وفي العالم الخارجي أم فقط في العالم المحيط به؟ هذه أسئلة عملية يجب الإجابة عليها بالاستعانة ليس فقط بكلمات الرسول في هذا القسم من رسالته بل أيضاً بجميع أقسام الكلمة الإلهية في عهدها القديم والجديد.

لا بد لنا من الإقرار بأن الرسول يتكلم عن اختبار في الزمن الحاضر لا في الماضي أو قبل اهتدائه إلى الإنجيل. وكذلك لا بد من القول بأن هذا الاختبار الرسولي ليس فريداً في نوعه بل أن سائر المؤمنين يختبرونه ولو بدرجات متفاوتة.

١. يستعمل الرسول كلمة ناموس للإشارة إلى عدة شرائع أو مبادئ أو قوانين. علينا أن نتذكر ذلك عندما نحاول تفسير كلماته المختصة بالحرب الروحية التي تستعر ضمن حياة المتبرر فهناك قبل كل شيء الناموس بمعنى الشريعة الإلهية التي أعطيت لموسى والتي لخصت في الوصايا العشر. وهناك أيضاً الناموس بمعنى مبدأ أو الطريقة التي تسير

بها أمور حياته الداخلية. وكذلك هناك ناموس أو قانون الخطية أي الطريقة التي تعمل بها الخطية ضمن حياة الإنسان.

٢. يستعمل الرسول كلمة جسد وجسدي للدلالة على الطبيعة الإنسانية الساقطة ليس بمعنى أن الجسد الإنساني أو الجسم البشري هو منبع الخطية كما كان تعليم فلاسفة الوثنيين وكذلك بعض البدع التي نبتت ضمن المسيحية. لا يعرف الكتاب المقدس مطلقاً نظرية نشوء الخطية من المادة أو من الجسم البشري بل على العكس جرى السقوط قبل كل شيء في القسم الروحي من الإنسان عندما قرر العصيان على الله وتصديق كلمات الشيطان.

٣. يجد المؤمن قوتين تعملان ضمن حياته: القوة الجديدة التي نالها من الله والتي تسعى للعمل على إرضاء الله وعلى عبادته وحده فقط وكذلك القوة القديمة التي يدعوها الرسول بالجسد (أي الطبيعة البشرية الساقطة) التي لا تختفي في هذه الحياة بل تظل عالقة بالإنسان المتجدد إلى آخر يوم من حياته.

٤. ليست حياة المؤمن خالية من الخطية. هذا اختبار جميع المؤمنين من إبراهيم الخليل إلى موسى إلى داود وسائر الأنبياء والرسول إلى بولس المتكلم الآن عن اختباره. ومع أن المؤمن يخطيء مراراً في حياته إلا أنه لا يسر بالخطية ولا يريد إلا الانتصار عليها. إنه يبغض الشر ويحاول الهرب منه ولكن مع الأسف الشديد فإنه أحياناً يفعل ما يبغضه.

٥. ما هو تفسير هذا الأمر المقلق؟ كيف يقوم المؤمن بعمل ما يبغضه؟ الجواب هو أن الخطية التي تبقى ساكنة في قلبه تدفعه إلى عمل ما لا يحب. هناك ناموس أو قانون يسري مفعوله في حياته: وهو أنه عندما يريد أن يفعل الحسنى يلاحظ في نفس الوقت وجود الشر لديه. فحسب الطبيعة الجديدة التي نالها من الله عندما تبرر بالإيمان يسر المؤمن بشريعة الله ويسعى أن يكيف حياته حسب تعاليمها ولكنه ليس فقط تحت تأثير الطبيعة الجديدة إذ أن الطبيعة القديمة (أو الجسد بمعناه غير الجيد) يدفعه إلى العمل حسب قانون الخطية الذي هو معارض بشكل مستمر لشريعة الله.

٦. تسبب هذه المعركة الروحية عدم اكتمال فرح المؤمن وكذلك تدفعه إلى اللجوء إلى الله الذي نال منه بداية حياته الجديدة. يصرخ كل مؤمن مع الرسول: ويحي أنا الإنسان الشقي؟ من ينفذني من جسد هذا الموت؟

٧. جواب الرسول هو أن الانتصار ممكن بواسطة يسوع المسيح. كما أن بداية الحياة المتجددة هي في المسيح هكذا أيضاً السير في هذه الحياة والوصول إلى غايتها ألا وهو الخلاص التام والكامل، هو أيضاً بواسطة المسيح. إن الطبيعة الجديدة لها حليف قوي ألا وهو المسيح الذي انتصر على الخطية والشيطان ولكن على المؤمن ألا يتقاعس لأنه أيضاً ذو طبيعة قديمة التي تبقى دوماً حليفة الخطية والشر. ليس هناك مفر من خوض المعركة

الروحانية. والنصر أكيد بالمسيح يسوع. شكرا لله الذي يعطينا الغلبة بمن أرسله ليكون
مخلص العالم وفادى البشرية.

الدرس السادس عشر

" ١ إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. ٢ لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت. ٣ لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد ٤ لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. ٥ فإن الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فيما للروح. ٦ لأن اهتيمام الجسد هو موت ولكن اهتيمام الروح هو حياة وسلام. ٧ لأن اهتيمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع. ٨ فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. ٩ وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له. ١٠ وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة سبب البر. ١١ وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم " (رومية ٨: ١-١١).

لقد جاء بنا الرسول إلى ذروة بحثه في عقيدة التبرير بالإيمان وهو يلخص كل ما تعلمناه حتى الآن بقوله عن الأبرار " إذا لاشيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع". إن الذين قبلوا شروط المصالحة مع الله بواسطة يسوع المسيح قد تأكّدوا بأن خطر الدينونة قد ذهب عنهم وأنهم يقدرّون أن يعيشوا بأمان وسلام عالمين أن الله لن يدينهم في اليوم الأخير. وهذا أمر كان لا بد للرسول من ذكره بهذا الشكل بعد أن علّمنا في الفصل السابع من رسالته إلى رومية بأن المتبرر يبقى خاضعاً وهو في هذه الحياة لقوتين مختلفتين: الواحدة تدفعه نحو إرضاء الله وتكييف حياته حسب شريعة الله التي تبقى دستوراً لحياته، والأخرى وهي قوة الطبيعة القديمة الباقية فيه تدفعه نحو القيام بما يسيء إلى الله وإلى نفسه. وقد أفهمنا الرسول بأن الغلبة على الدافع المستمر نحو الرجوع إلى حياة الخطية والعبودية هي في اللجوء إلى المسيح يسوع الذي يعطينا الانتصار على الخطية والشيطان وطبيعتنا الساقطة المدعوة بالجسد. ولئلا يظن البعض أن أمر الخلاص قد أصبح تحت رحمة الإنسان وإن التأكيد من النصر النهائي هو غير ممكن مادام الإنسان في وسط معركة الحياة فإن الرسول يقول لنا بكل صراحة وبسلطة من كان قد أرسل من الله لتعليم الكنيسة في سائر الأجيال "إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع". نعم لا شيء من الدينونة، ليس هناك أي خطر من فشل أولئك الذين صاروا في المسيح يسوع بواسطة إيمانهم ونظراً لنعمة الله الخلاصية.

هذا التأكيد التام من عدم الوقوع في دينونة الله ليس لكل إنسان بل فقط للذي هو حسب قول الرسول " في المسيح يسوع " ما هي هذه الحياة التي يحيها المؤمن بيسوع المسيح؟ جواب الرسول هو أنها حياة في الروح أي في الروح القدس. حياة المؤمن الذي نال برة من الله ليست حياة تدور في فلك الأنانية ومحبة الذات، إنها حياة التحرر التام من حياة الجسد والموت. وسوف نلاحظ الصفات التي تتصف بها الحياة في الروح متبعين النص الكتابي.

١. الحياة في الروح هي حياة حرية:

لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت. وبعبارة أخرى إن الإنجيل المقدس يحرر الإنسان من الشريعة التي تحكم على الإنسان بالموت نظراً لعدم تمكن الإنسان من القيام بجميع متطلباتها. طبعاً الحرية التي يتكلم عنها الرسول ليست حرية بدون الله أو ضد شريعته للحياة، إنها الحرية الحقيقية التي تجد كمالها في القيام برغبات الله المختصة بحياة الإنسان.

٢. المسيح هو الذي كسب لنا هذه الحرية:

هذا هو السبب الذي يدفعنا إلى تسمية يسوع المسيح بالمخلص أو الفادي لأنه بموته على الصليب وبحياته الكاملة التي عاشها على الأرض حررنا من واجب القيام بإرضاء الشريعة بشكل كامل كطريقة لكسب الحياة الأبدية. لو لم يقم يسوع المسيح بهذا العمل لما كان هناك إنجيل ولا تبرير بالإيمان.

٣. صفة المؤمن المميزة هي أنه يسلك حسب الروح وليس حسب الجسد:

يجب ألا يغيب عن بالنا أن عقيدة التبرير بالإيمان التي كنا ندرسها بصحبة الرسول بولس ليست عبارة عن اعتقاد عقلي محض بل إنها تتعلق بحياة المؤمن الذي خلص بنعمة الله المجانية. وهذا المؤمن ليس بالإنسان الذي أخذ على نفسه أن يعنقد بمجموعة من العقائد بشكل سطحي بل إنه إنسان جديد حصل على تغيير هكذا كبير في حياته حتى أنه صار يدعى بخليقة جديدة لله. فحياته إذن حياة تسير بجهة معاكسة للخطية. يكره المؤمن الخطية لأنه يعيش حسب الروح لا حسب الجسد أو الطبيعة البشرية الساقطة الموروثة من آدم. وهكذا فإن اعتقاد المؤمن القلبي بأنه لن يدان في اليوم الأخير لا يقوده إلى التفاعس والخمول بل يمكّنه من الحياة، حياة الانتصار والرجاء بالرغم من كثرة التجارب والصعوبات والضيق التي قد تخيم على سماء حياته.

٤. لا يستطيع الإنسان أن يكون مؤمناً متأكداً من خلاصه النهائي وأن يحيا في نفس الوقت حسب الجسد. هذا أمر مستحيل. يحدّثنا الرسول إذاً من الظن بأن عقيدة التبرير بالإيمان كافية لإنقاذنا من غضب الله إن اكتفينا بإبقائها في عقولنا ولم نحيا حسب مبادئها

القلبية. يهتم الجسد بما للموت ولكن الروح يهتم بما للسلام والحياة. الجسد (أي كما ذكرنا مراراً: الطبيعة الإنسانية الساقطة التي هي حليفة للشر وللشيطان) هو في عداوة مستمرة لله لأنه لا يستطيع أن يكون خاضعاً لشريعة الله والذين يعيشون حسب الجسد وأهوائه لا يستطيعون أن يرضوا الله.

٥. إن كان الإنسان يقول أنه متبرر ولكنه لا يظهر حقيقة التبرير في حياته فإنه مدّع ومناقق. وإن كان المسيح في المؤمن، كما هو في كل مؤمن حقيقي بالإيمان وبواسطة الروح، فإن الجسد هو مائت والروح حي، وليس ذلك فقط بل إن المؤمن ينظر بالرجاء إلى ذلك اليوم الذي يرى اكتمال خلاصه عندما يقيم يسوع المسيح جسده من الأموات.

الدرس السابع عشر

١٢" فَإِذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ نَحْنُ مَذْيُونُونَ لَيْسَ لِلْجَسَدِ لِنَعِيشَ حَسَبَ الْجَسَدِ. ١٣ لِأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسْتَمُوتُونَ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تَمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسْتَحْيَوْنَ. ١٤ لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ. ١٥ إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّنْبِيِّ الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: «يَا أَبَا الآبِ!» ١٦ الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضاً يَشْهَدُ لِأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ. ١٧ فَإِنْ كُنَّا أَوْلَاداً فَإِنَّا وَرَثَةٌ أَيْضاً وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ. ١٨ فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ الْآمَ الزَّمَانَ الْحَاضِرَ لَا تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِيْنَا. ١٩ لِأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلَانَ أَبْنَاءِ اللَّهِ. ٢٠ إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ - لَيْسَ طَوْعاً بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أُخْضِعَهَا - عَلَى الرَّجَاءِ. ٢١ لِأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضاً سَتَعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ. ٢٢ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَتِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعاً إِلَى الْآنِ. ٢٣ وَلَيْسَ هَكَذَا فَقَطْ بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسَنَا أَيْضاً نَتِنُّ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّنْبِيِّ فِدَاءً أَجْسَادِنَا. ٢٤ لِأَنَّا بِالرَّجَاءِ حَلَّصْنَا. وَلَكِنَّ الرَّجَاءَ الْمَنْظُورَ لَيْسَ رَجَاءً لِأَنَّ مَا يَنْظُرُهُ أَحَدٌ كَيْفَ يَرْجُوهُ أَيْضاً؟ ٢٥ وَلَكِنْ إِنْ كُنَّا نَرْجُو مَا لَسْنَا نَنْظُرُهُ فَإِنَّا نَتَوَقَّعُهُ بِالصَّبْرِ" (رومية ٨: ١٢-٢٥).

هناك طريقتان للحياة: الطريقة الواحدة يتبع فيها الإنسان الميل الكائن في طبيعته الساقطة والتي تنتهي به إلى الموت الأبدي والطريقة الأخرى يتبع فيها الإنسان المتجدد الميل الذي يناله من الروح القدس الذي أعطي له عندما آمن بالمسيح يسوع. هذه خلاصة ما تعلمناه في درسنا السابق. وستتابع دراستنا اليوم لقسم من هذا الفصل لنقف تماماً على نموذج الحياة التي يجب أن يحيها كل من صار باراً بإيمانه بالمخلص.

فلقد أفهمنا الرسول بأن الإنسان المتبرر لا يستطيع أن يحيى حياة الانتصار على الخطية إن اتكل على قواه الخاصة وذلك لوجود الميل القوي نحو الخطية الكائن في طبيعته الساقطة. الحياة التي ترضي الله هي الحياة التي يحيها المؤمن بواسطة الروح القدس الذي يسكن في قلبه. وهكذا يتوجب على المؤمن أن ينظر إلى حياته كدين لا يقدر أن يفهمه إلا إذا عاش حسب الروح القدس. إذ أنه إن استمر على العيش حسب الجسد فليس ذلك إلا دليلاً على عدم صحة إيمانه وعلى أن نهايته الموت الأبدي. ولكنه إن استعان بقوة الروح القدس فإنه يقدر أن يثق على الانتصار على الخطية وعلى الجسد حليفها. فحياة المؤمن يمكن النظر إليها من ناحية أخرى كحياة منقادة للروح القدس. قد يصعب فهم ذلك بالنسبة للذين لم يأخذوا الخطوة الأولى للمجيء إلى المسيح مؤمنين ولكن من الناحية العملية فإن المسيحي المنتصر هو الذي قد سلم زمام حياته إلى قيادة الروح القدس. وهذا لا يعني أنه فقد بذلك حريته أو شخصيته، بل إن ذلك يعني أنه قد وجد حريته الحقيقية لأنه يشعر في قرارة نفسه

بأن الله قد تبناه، إذ هل هناك حرية أسمى من حرية أبناء الله؟ وهذا الشعور ليس من منبع بشري بل إنه من عمل الروح القدس الذي يشهد مع روح المؤمن بأنه من أولاد الله.

وما أتى الرسول على ذكر التبني الذي يحصل عليه المؤمن إلا وتطرق للبحث في موضوع آلام الزمن الحاضر. كيف نفهم أمر حصول المؤمن على خيرات عديدة لا يمكن أن يعبر عنها وفي نفس الوقت عدم تمكنه من التخلص من الآلام والمشقات التي تنتقض عليه؟ جواب الرسول هو في النقاط الرئيسية التالية:

١. إن آلام الزمن الحاضر لا تقاس بالمجد العتيق أن يستعلن فينا. وهكذا فإن الرسول لا ينكر مطلقاً بأن حظ المؤمن من الآلام ليس بالقليل ولكنه يوجه الأنظار إلى هذه الحقيقة الصارخة: مهما كثرت وتنوعت آلام الزمن الحاضر فإنها لا تقاس ولو من بعد بالمجد الذي سيظهر فينا متى عاد السيد المسيح إلى الأرض في اليوم الأخير. يعلمنا بولس بأن نتهرب من الزمن الحاضر الذي نعيش فيه ولكنه يود أن يوجه أنظارنا إلى المستقبل اللامع الذي ينتظرنا كأبناء الله المفديين بدم ابنه الزكي.

٢. إن انتظرنا لإعلان المجد النهائي هو أيضا انتظار الخليقة بأسرها. يوجه الرسول أنظارنا إلى الخليقة بأسرها التي نعيش ضمنها ويقول لنا: انظروا إلى هذه الخليقة غير العاقلة، إنها لم تخطيء ولكنها تأثرت إلى هكذا درجة من التشويش الهائل الذي أحدثته معصية آدم حتى أن الله أخضعها للبطل. ولكن ذلك لا يعني أن الخليقة ستبقى على هذه الحالة إذ أن الله سيجعلها مشاركة أيضا للانتصار النهائي على قوى الشر في نهاية التاريخ البشري لدى رجوع السيد المسيح إلى العالم. حتى نحن الذين ذقنا خلاص الرب والذين نتمتع بهبة الروح القدس نحن أيضا ننن في أنفسنا متوقعين مجيء ذلك اليوم المجيد عندما تعتق أجسادنا من عبودية الموت والفساد وتقوم للاشتراك في الاحتفال العظيم الذي سيجري متى أعلن الله نصره النهائي والتام على جميع قوى الشر والخطية والموت.

٣. إن موقفنا الحالي كمؤمنين هو موقف رجاء. إن المؤمن بالرغم من الآلام العديدة التي تنتقض عليه من كل حدب وصوب يظل مرفوع الرأس لا لاتكاله على قواه الخاصة بل نظراً لاتكاله التام على الله الذي سيعطيه النصر النهائي في يوم القيامة. وهكذا فإنه يعيش في الزمن الحاضر عيشة رجاء.

فالرجاء إذن عنصر هام جداً في حياة المتبرر وبدونه يكون غير متمتع بجميع امتيازات حياته الجديدة. ليس الرجاء المسيحي بالتهرب من الواقع بل على العكس هو أخذ الواقع بعين الاعتبار. فالخلاص الذي يحصل عليه المسيحي هو خلاص حقيقي ولكنه لا يتذوق إلا

باكورتته إذ أن ثمره التام لا يجنى إلا في النهاية. وهكذا نفهم قول الرسول بأننا بالرجاء خلصنا. لم ينبعث الرجاء إذن من رغبة العقل البشري في تفسير عدم الحصول على جميع الفوائد المتوخاة من الخلاص الموعود في الإنجيل، كلا إن الرجاء هو من العناصر الرئيسية في بشارة الخلاص. وهذا الرجاء يولد الصبر الذي على كل مؤمن أن يتحلى به وهو يخوض معارك الحياة ويتوقع برجاء حي إعلان النصر النهائي على خطيته وعلى شروره وأثامه وعلى عدوه الشيطان في اليوم الأخير.

أسئلة

١. ما هي نتيجة التبرير بالإيمان؟
٢. ما هو الرجاء المسيحي؟
٣. كيف دخلت الخطية إلى البشرية؟
٤. ما علاقة كل إنسان بآدم؟
٥. ما هو المبدأ الذي يسري مفعوله على طريقة الخلاص؟
٦. لماذا يساء فهم عقيدة التبرير بالإيمان؟
٧. ما هي الحرية حسب مفهوم المؤمن؟
٨. ما معنى "تحت الناموس" و "تحت النعمة"؟
٩. ماذا يجرى ضمن حياة المؤمن وهو يعيش في هذه الدنيا؟
١٠. هل يصل المؤمن إلى الكمال الروحي في هذه الحياة؟
١١. ما هي صفة المؤمن المميزة؟
١٢. هل ستستفيد الخليقة بأسرها من عمل المسيح الفدائي؟ ومتى سيتم ذلك؟
١٣. كيف يتأكد المؤمن من نصره النهائي؟

الدرس الثامن عشر

" ٢٦ وَكَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضاً يُعِينُ ضَعْفَاتِنَا لِأَنَّنا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لِأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنْتَاتٍ لَا يُنْطِقُ بِهَا. ٢٧ وَلَكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ لِأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ يَشْفَعُ فِي الْقَدِيسِينَ. ٢٨ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوعُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ. ٢٩ لِأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بَكراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. ٣٠ وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ فَهَؤُلَاءِ دَعَاهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ فَهَؤُلَاءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ فَهَؤُلَاءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضاً. ٣١ فَمَاذَا نَقُولُ لِهَذَا؟ إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا! ٣٢ الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَدَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهْبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ ٣٣ مَنْ سَيَسْتَنْكِي عَلَيَّ مُخْتَارِي اللَّهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ! ٣٤ مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضاً الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا! ٣٥ مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشَدَّةٌ أَمْ ضَيْقٌ أَمْ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عَزْيٌ أَمْ حَظَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ ٣٦ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ «إِنَّا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ». ٣٧ وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ جَمِيعَهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا. ٣٨ فَإِنِّي مُتَبَقِّينٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ وَلَا قُوَاتٍ وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةَ وَلَا مُسْتَقْبَلَةَ ٣٩ وَلَا عُلُوَّ وَلَا عُمُقَ وَلَا خَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. " (رومية ٨: ٢٦-٣٩).

بوصولنا إلى نهاية الفصل الثامن من رسالة الرسول بولس إلى الكنيسة المسيحية في رومية نكون قد انتهينا من البحث في العقيدة الإنجيلية الأساسية المختصة بخلص الإنسان من الخطية والتي تدعى في الكتاب بعقيدة التبرير بالإيمان بدون أعمال الناموس أو الشريعة. وقبل معالجة بعض الأمور الخاصة والتطرق إلى الكلام عن الأمور العملية التي يجب أن تنبثق في حياة المتبررين لابد للرسول من تلخيص الموضوع بأسره وإعطائنا نظرة عامة وشاملة لكل ما يتعلق بخلص الإنسان. وسنسى حسب طاقتنا للكلام عن هذه الأمور الهامة متكلمين على الروح القدس الذي أوحى بهذه الرسالة لكي نختبر هذه الحقائق الروحية في قلوبنا.

تركنا الرسول في درسنا السابق وهو يتكلم عن موضوع الرجاء المسيحي في حياة المتبرر. وقد رأينا ضرورة التمسك بالرجاء وكيفية إثمار ذلك في حصول المؤمن على الصبر اللازم للعيش في هذه الحياة بانتظار حلول الخلاص التام والكامل متى عاد المخلص إلى الأرض في نهاية التاريخ البشري. ونبدأ الآن بحثنا بالكلام عن الروح القدس الذي يساعدنا الآن ونحن نحيا حياة الرجاء والصبر وذلك بواسطة صلواتنا المتصاعدة إلى عرض الله.

نظراً لمساعدة الروح القدس في حياتنا ولأنه يشفع فينا أمام العرض الإلهي ويساعدنا على الصلاة كما يجب لأننا من أنفسنا غير قادرين على ممارسة هذا الامتياز العظيم فإننا

نأتي إلى هذا اليقين التام الذي يمكّننا من القول مع الرسول: ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده.

ويجدر بنا أن نلاحظ الأمور التالية:

١. كان خلاص المؤمن ضمن تدبير الله الأزلي حتى قبل مجيء المؤمن إلى الوجود. لقد علمنا الرسول حتى الآن بأن نتكل على الله من أجل خلاصنا وألا نخاف من الدينونة إذ أنه لا شيء من الدينونة على كل من هو في المسيح يسوع. وكذلك علمنا الرسول بأن نحيا حياة الرجاء منتظرين بكل صبر حلول ميعاد إعلان الخلاص التام في يوم القيامة. لكن الرسول لا يكتفي بذلك عند اقترابه من نهاية البحث في موضوع التبرير بالإيمان. انه يأخذنا إلى ما قبل العالم وما قبل التاريخ إلى تلك الأزلية التي لا تعرف بداية عندما صمم الله (على) إنقاذ عدد لا يعد ولا يحصى من الناس من الخطية والموت وقام برسم تدبير الخلاص بواسطة يسوع المسيح. خلاص المؤمن الحقيقي أكيد ليس فقط بسبب الأمور الحاضرة التي يختبرها والأمور المستقبلية التي يتوقعها بالرجاء ولكنه أكيد نظراً لتدبير الله الأزلي الذي شمله حتى قبل أن يولد في العالم. ونظراً لهذه الحقيقة الأساسية للديانة الكتابية يعلن الرسول المبدأ العظيم الذي تبنى عليه حياة المتبرر: كل الأشياء تعمل معاً للخير. ويتعذر علينا سبر غور هذه الفكرة العميقة ولكنها مع ذلك سارية المفعول في حياة كل مؤمن.

٢. هناك سلسلة ذهبية للخلاص بدايتها في الأزل ونهايتها في الأبد. وهذه تتضمن الحلقات الآتية:

أ: معرفة الله لمختاريه معرفة أزلية ناتجة عن انتخابه لهم.

ب: تعيينهم ليكونوا مشابهيين صورة ابنه في القداسة والطهارة.

ج: دعوتهم دعوة فعالة من عالم الخطية والموت إلى ملكوته المقدس.

د: تبريرهم بنعمته المجانية وبواسطة الإيمان.

ه: تمجيدهم في المستقبل لدى اكتمال الملكوت وعودة المسيح يسوع إلى العالم.

٣. ينتج عن هذه الحقائق أن المؤمن لا يخاف المستقبل المجهول ولا الحاضر المليء بالآلام والمشقات. إن كان الله قد قام بتحضير جميع حلقات تدبير الخلاص هكذا بشكل محكم وإن كانت كلمته لا تفشل فأى شيء يستطيع أن يقضي على فرح المؤمن أو على يقينه التام بالحصول على كل مواعيد الله؟ من يقدر أن يشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي

يبرر. من سيكون الديان في نهاية الزمان؟ يسوع المسيح، لكن المؤمن ينظر إلى المخلص لا كديان بل كفادٍ محب وشفوق.

أهناك إذاً أي شيء في الوجود يستطيع أن يفصل المؤمن عن محبة الله بيسوع المسيح؟ لم ينكر بولس الصعوبات العديدة التي ستغمر حياة المؤمنين من اضطهادات إلى حروب ومجاعات وعداوات بشرية وشيطانية، لكن جميع هذه الأمور لا تحدث بدون معرفة الله الذي أخذها جميعاً بعين الاعتبار وجعلها تعمل جميعاً معاً من أجل خير المؤمن ومن أجل إيصاله في النهاية إلى شاطئ الأبدية المجيد بأمان وسلام. ليفرح ويتهلل كل مؤمن لأن في جميع أمور هذه الحياة المتعبة يعظم انتصاره بواسطة يسوع المسيح، ملك الملوك ورب الأرباب.

الدرس التاسع عشر

١١ أقول الصديق في المسيح لا أكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس: ٢ إن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع! ٣ فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروراً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد ٤ الذين هم إسرائيليون ولهم التنبؤ والمجد والعهود والاشتراغ والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إليها مباركاً إلى الأبد. أمين. ٦ ولكن ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت. لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ٧ ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد. بل «باسحاق يدعى لك نسل». ٨ أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلًا. ٩ لأن كلمة الموعد هي هذه: «أنا آتي نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن». ١٠ وليس ذلك فقط بل رفقة أيضاً وهي حبل من واحد وهو إسحاق أبونا - ١١ لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلاً خيراً أو شراً لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو ١٢ قيل لها: «إن الكبير يستعبد للصغير». ١٣ كما هو مكتوب: «أحببت يعقوب وأبغضت عيسو». ١٤ فماذا نقول؟ أعل عند الله ظلماً؟ حاشا! ١٥ لأنه يقول لموسى: «إني أرحم من أرحم وأترأف على من أترأف». ١٦ فإذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم. ١٧ لأنه يقول الكتاب لفرعون: «إني لهذا بعينيه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي ولكي ينادى باسمي في كل الأرض». ١٨ فإذا هو يرحم من يشاء ويفسي من يشاء. ١٩ فسأقول لي: «لماذا يلوم بعد لأن من يقول مشيئته؟» ٢٠ بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟ أعل الجبل تقول لجابلهما: «لماذا صنعتني هكذا؟» ٢١ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان؟ ٢٢ فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهياً للهلاك - ٢٣ ولكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد ٢٤ التي أيضاً دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً. ٢٥ كما يقول في هوشع أيضاً: «سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوباً محبوباً. ٢٦ ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه أستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحي». ٢٧ وإشعيا يصرخ من جهة إسرائيل: «وإن كان عدو بني إسرائيل كرم البحر فالبقية ستخلص. ٢٨ لأنه منم أمر وقاض بالبر. لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض». ٢٩ وكما سبق إشعيا فقال: «لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلنا لصرنا مثل سدوم وشابها عمورة». ٣٠ فماذا نقول؟ إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركو البر - البر الذي بالإيمان. ٣١ ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر! ٣٢ لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال ناموس. فإني اصطدموا بحجر الصدمة ٣٣ كما هو مكتوب: «ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يحزى» (رومية ٩).

لقد وصلنا الآن إلى القسم الثاني من رسالة الرسول بولس إلى الكنيسة المسيحية في رومية وهو القسم الذي يعالج فيه الرسول مشكلة عدم إيمان بني شعبه بالمسيح يسوع

وإصرارهم على رفض الخلاص العظيم الذي أعده الله لجميع المؤمنين. وسوف يبحث الرسول في هذا الموضوع الدقيق في الفصل التاسع والعاشر والحادي عشر قبل أن يأتي إلى البحث في تطبيق المبادئ الإنجيلية في حياة المتبررين بالإيمان.

وهنا يجدر بنا أن نتذكر بأن الرسول كان نفسه من معاندي البشارة المسيحية وأنه كان من ألد أعداء الكنيسة المسيحية ولكنه لما رأى النور الحقيقي، واختفى ذلك الستار الذي كان يحيط بعقله وقلبه كان لا بد له من التأمل في موضوع عدم إيمان اسرائيل بالمسيح. لماذا؟ لماذا رفضوا المسيح؟ ولماذا يستمرون في معاندة رسله وفي الإصرار على الحصول على برهم الذاتي بدون معونة الله وخارج نطاق تدبيره للتبرير؟

١. يبدأ الرسول بالكلام عن الحزن العميق الذي كان يشعر به عندما كان يتأمل في موقف بني جنسه من المسيح يسوع. أنه يود لو كان يحرم من المسيح لأجل أخوته حسب الجسد، الذين كانوا قد تمتعوا بمزايا عديدة لم يتمتع بها الناس في تلك الأيام. كيف يفسر فشلهم وهم قد حصلوا على الوحي الإلهي والشريعة الإلهية والطريق المقبولة للعبادة ومنهم أتى السيد المسيح حسب طبيعته البشرية؟

٢. يبدأ الرسول بالجواب على هذه الحيرة التي ألمت به باللجوء إلى كلمة الله وإلى معونة الروح القدس. وهكذا يصل إلى هذا المبدأ الأساسي الساري المفعول ليس فقط في أيامه بل في سائر العصور والأجيال. ليس جميع المنحدرين من إبراهيم الخليل هم بالحقيقة أولاد إبراهيم (أي من الناحية الروحية). وكما اختار الله اسحق بن إبراهيم وكما اختار يعقوب بن اسحق وترك البقية، هكذا أيضاً يختار العديدين من بني اسرائيل للمجيء بهم إلى الإقرار بالمسيح يسوع. وبعبارة أخرى أن الذي اختبره الرسول في حياته لم يكن أمراً جديداً من الناحية العقائدية. بل إن ما حدث في أيامه من رفض الكثيرين من بني شعبه للمسيح المنتظر إنما ما حدث في الماضي في أيام موسى والأنبياء.

٣. وقد يوجد هنا من يعترض على تفسير الرسول هذا ويقول له: يا بولس، أنك بذلك تعني أن الله ظالم. جواب الرسول هو: حاشا. أني لست مبتدعاً لعقيدة جديدة بل إن موسى علم ذلك في حادثة فرعون والضربات التي أتت عليه وعلى شعبه. إن محاولة فهم سلطة الله المطلقة وإرادته في العالم أمر غير ممكن، إن العقل البشري محدود ولذلك يجدر بنا أن نقبل تعليم كلمة الله بدون أن نحاول الحكم عليها بحكمتنا البشرية المحدودة. وفوق كل شيء علينا أن نذكر جيداً أن الله هو الذي صنعنا وهو يعمل بنا كما يشاء. إنه لا يقوم بأي عمل ظلم ولكنه تعالى يختار البعض للحياة ويترك الآخرين في حالتهم. من نحن حتى نتجادل مع الله؟

٤. ومع أننا لا نستطيع أن نسبر غور هذه الأمور العميقة والمتعلقة بعلاقة الله مع مخلوقاته العاقلة إلا أننا نرى السبب الذي من أجله فشل بنو اسرائيل في الوصول إلى ملكوت المسيح. إنهم لم يودوا أن يقبلوا البر بالإيمان بدون أعمال الشريعة. إن هذه العقيدة أصبحت بالنسبة إليهم الصخرة التي اصطدموا بها حارمين أنفسهم من البر الذي ناله ولا يزال يناله كل من يؤمن بالله وبتدبيره الفعال للخلاص.

الدرس العشرون

" ١ أَيْهَا الْإِخْوَةُ إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلَبَتِي إِلَى اللَّهِ لِأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلَّاصِ. ٢ لِأَنِّي
أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةَ لِلَّهِ وَلَكِنْ لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ. ٣ لِأَنَّهُمْ إِذْ كَانُوا يَجْهَلُونَ بِرَّ اللَّهِ
وَيَطْلُبُونَ أَنْ يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ اللَّهِ. ٤ لِأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ
لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ. ٥ لِأَنَّ مُوسَى يَكْتُوبُ فِي الْبِرِّ الَّذِي بِالنَّامُوسِ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا
بِهَا». ٦ وَأَمَّا الْبِرُّ الَّذِي بِالْإِيمَانِ فَيَقُولُ هَكَذَا: «لَا تَقُلْ فِي قَلْبِكَ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ؟» (أَيُّ
لِيُحْدِرَ الْمَسِيحَ) ٧ أَوْ «مَنْ يَهْبِطُ إِلَى الْهَوَايَةِ؟» (أَيُّ لِيُصْعِدَ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ) ٨ لَكِنْ مَاذَا
يَقُولُ؟ «الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ» (أَيُّ كَلِمَةُ الْإِيمَانِ الَّتِي نَكْرَزُ بِهَا) ٩ لِأَنَّكَ إِنْ
اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ خَلَّصْتَ. ١٠ لِأَنَّ الْقَلْبَ
يُؤْمِنُ بِهِ لِلْبِرِّ وَالْفَمُ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلَّاصِ. ١١ لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لَا
يُخْزَى». ١٢ لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ لِأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ
يَدْعُونَ بِهِ. ١٣ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ. ١٤ فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ.
وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلَا كَارِزٍ؟ ١٥ وَكَيْفَ يَكْرِزُونَ إِنْ لَمْ
يُرْسَلُوا؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا أَجْمَلَ أَفْدَامَ الْمُبَشِّرِينَ بِالسَّلَامِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْخَيْرَاتِ». ١٦ لَكِنْ
لَيْسَ الْجَمِيعُ قَدْ أَطَاعُوا الْإِنْجِيلَ لِأَنَّ إِشْعِيَاءَ يَقُولُ: «يَا رَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبْرَنَا؟» ١٧ إِذَا
الْإِيمَانُ بِالْخَبَرِ وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. ١٨ الْكِنِّي يَقُولُ: أَلَعَلَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا؟ بَلَى! «إِلَى جَمِيعِ
الْأَرْضِ خَرَجَ صَوْتُهُمْ وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ أَقْوَاهُمْ». ١٩ الْكِنِّي يَقُولُ: أَلَعَلَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ
يَعْلَمْ؟ أَوْلَا مُوسَى يَقُولُ: «أَنَا أُغَيِّرُكُمْ بِمَا لَيْسَ أُمَّةً. بِأُمَّةٍ غَيْبِيَّةٍ أُغَيِّظُكُمْ». ٢٠ ثُمَّ إِشْعِيَاءُ
يَتَجَاسَّرُ وَيَقُولُ: «وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي وَصِرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي». ٢١
أَمَّا مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ فَيَقُولُ: «طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمَقَاوِمٍ»

(رومية ١٠)

لازلنا بصحبة الرسول بولس وهو يعالج موضوع عدم إيمان إسرائيل بالمسيح يسوع. وقد رأينا أن الرسول رأى في تعاليم الكتاب أن هذا الحدث المؤلم لم يكن مفاجأة بالنسبة إلى الله إذ أنه تعالى كان قد أعلن هذا الأمر لعبيده الأنبياء. ومع أنه من الصعب أن نفهم تماماً الأمور التي تتعلق بإرادة الإنسان تجاه إرادة الله إلا أنه لا يجوز لنا ونحن أمام أية معضلة أن نقول أن الله ظالم. بل على العكس يجب أن نذكر أننا لسنا إلا بشراً وأنه تعالى وهو صانعنا يعمل ما يشاء بمخلوقاته. وفي نفس الوقت رأينا أيضاً أن الله رحوم وشفوق وأنه جاء بطريقة فعالة لإنقاذ الإنسان من الخطية ألا وهي الإيمان بعمل يسوع الفدائي على الصليب. ويا للأسف الشديد فإن أنساب الرسول حسب الجسد اصطدموا بطريقة الله للتبرير وهكذا منعوا أنفسهم من الخلاص بينما سارع العديدون من الأمم أي من الوثنيين إلى قبول الخلاص بواسطة الإيمان.

يستمر الرسول في الفصل العاشر من رسالته إلى رومية في الكلام عن سبب فشل بني شعبه في إرضاء الله. وهو يشهد لهم بأنهم يتمتعون بغيرة لله ولكن تلك الغيرة ليست حسب المعرفة الحقيقية لمشيئة الله. كانت خطيبتهم الكبرى في تجاهلهم طريقة الله لتبرير الخطاة ومحاولتهم أن ينالوا برهم بواسطة التقيد بنواميس وشرائع عديدة. وهكذا فشلوا في النظر إلى الشريعة الإلهية كقائد أو مدرب يوصل بالإنسان إلى المسيح واكتفوا بالنظر إلى الشريعة كمخلص لهم. وإذا لم يرد الرسول أن يظهر أن انتقاده كان انتقاداً شخصياً التجأ إلى الكتاب لبرهان صحة قوله. ذهب أولاً إلى موسى النبي صاحب الأسفار الخمسة الأولى في الكتاب.

ماذا يعلم كلهم الله؟ يكتب موسى في البر الذي بالشريعة أن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها. لا ينكر بولس أن الإنسان – إن حفظ الشريعة بكاملها – يخلص. ولكن هذا المبدأ للحصول على الحياة لا يمكن أن يطبق نظراً لعدم إمكانية الإنسان من القيام بجميع أوامر الشريعة الإلهية. لكن موسى لم يتكلم فقط عن تلك الطريقة لكسب الحياة والتي لا تساعد أحداً من بني البشر بعد سقوط آدم في الخطية بل تكلم أيضاً عن طريقة خاصة للخلاص وبواسطة تدخل الله الفعلي في قضية الخلاص. آمن فتخلص، نعم اترك كل أعمالك التي تتكل عليها من أجل الخلاص، آمن بالكلمة التي أنادي بها فتخلص.

ما هي خلاصة الكلمة التي نادى بها الرسول؟ أن المسيح يسوع هو الرب الذي مات من أجل التكفير عن خطايا العالم والذي قام أيضاً من الأموات في اليوم الثالث. ومع أن هذه الطريقة تظهر غير معقولة في بادئ الأمر إلا أن الرسول يستشهد أيضاً بقول النبي إشعياء: كل من يؤمن به لا يخزي مظهراً بذلك صحة تعليمه.

فالمناداة بعمل يسوع المسيح الفدائي أمر هام للغاية إذ أنه بهذه الوساطة يأتي الناس إلى الخلاص. هل من الممكن للناس بأن يدعوا باسمه إن لم يؤمنوا به وكيف يؤمنون به إن لم يسمعوا به وكيف يسمعون إن لم يكن هناك مناد وكيف ينادون بالبشارة المفرحة إن لم يرسلوا؟ ولكن بولس يعرف بأن الناس لا يؤمنون دوماً وإن سمعوا بالإنجيل، المناداة ضرورية للإيمان لكن المناداة لا تضمن إيمان جميع السامعين. ألم يقل النبي إشعياء منذ مئات من السنين: يا رب من صدق خبرنا؟

كان بنو اسرائيل قد أذروا منذ أيام موسى بمغبة عدم الإيمان وأخبروا بأن الله كان سيدعو الامم الوثنية لدخول ملكوته لعل ذلك يحرك غيرتهم للرجوع إلى مخلصهم وفاديهم. وقد كرر إشعياء النبي ذات الفكرة عندما قال بلسان الرب وجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عني. أما من جهة اسرائيل فيقول: طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم.

لا يمكن إذاً لأي ما بأن يلوم الله. الخلاص منه تعالى وهو لم يعمل خلاصه في ناحية مجهولة من العالم بل في وسط الأرض المقدسة وفي ملء الزمن قام بفداء العالم بواسطة ابنه الوحيد ثم دعا رسله للمناداة بالإنجيل في كل العالم واعدأ كل من يؤمن بالحياة الأبدية. وهكذا إن هلك إنسان أو مجموعة من الناس لا يستطيعون أن يلوموا الله. وإن خلص أحد فله المجد لأن منه وبواسطته خلاص العالم.

الدرس الحادي والعشرون

١٠ فأقول: أَلَعَلَّ اللّٰهَ رَفَضَ شَعْبَهُ؟ حَاشَا! لِأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِسْرَائِيلِيُّ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ سِبْطِ بَنِيَامِينَ. ٢ لَمْ يَرْفُضِ اللّٰهُ شَعْبَهُ الَّذِي سَبَقَ فَعَرَفَهُ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ فِي إِبِلِيًّا؟ كَيْفَ يَتَوَسَّلُ إِلَى اللّٰهِ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: ٣ «يَا رَبُّ قَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ وَهَدَمُوا مَذَابِحَكَ وَبَقَيْتُ أَنَا وَحْدِي وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي». ٤ لَكِنْ مَاذَا يَقُولُ لَهُ الْوَحْيُ؟ «أَبَقَيْتُ لِنَفْسِي سَبْعَةَ آفٍ رَجُلٍ لَمْ يُحْنُوا رُكْبَةً لِبَعْلِ». ٥ فَكَذَلِكَ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ أَيْضاً قَدْ حَصَلَتْ بَقِيَّةٌ حَسَبَ اخْتِيَارِ النِّعْمَةِ. ٦ فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالْأَعْمَالِ وَإِلَّا فَلَيْسَتْ النِّعْمَةُ بَعْدَ نِعْمَةٍ. وَإِنْ كَانَ بِالْأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدَ نِعْمَةٍ وَإِلَّا فَالْعَمَلُ لَا يَكُونُ بَعْدَ عَمَلٍ. ٧ فَمَاذَا؟ مَا يَطْلُبُهُ إِسْرَائِيلُ ذَلِكَ لَمْ يَنْلَهُ وَلَكِنْ الْمُخْتَارُونَ نَالُوهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَتَقَسَّوْا ٨ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَعْطَاهُمُ اللّٰهُ رُوحَ سُبَاتٍ وَعُيُوناً حَتَّى لَا يُبْصِرُوا وَأَدَاناً حَتَّى لَا يَسْمَعُوا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ». ٩ وَدَاوُدُ يَقُولُ: «لِتَبْصِرْ مَا نَدَّبْتُهُمْ فَخَاً وَقَنَصاً وَعَثْرَةً وَمُجَارَاةً لَهُمْ. ١٠ لِتَنْظِمَ أَعْيُنَهُمْ كَيْ لَا يُبْصِرُوا وَلِتَحْنُ ظُهُورَهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ». ١١ فأقول: أَلَعَلَّهُمْ عَثَرُوا لِكَيْ يَسْقُطُوا؟ حَاشَا! بَلْ بَزَلْتَهُمْ صَارَ الْخَلَاصُ لِلْأُمَّمِ لِإِعَارَتِهِمْ. ١٢ فَإِنْ كَانَتْ زَلَّتْهُمْ غِنَى لِلْعَالَمِ وَنُقْصَانُهُمْ غِنَى لِلْأُمَّمِ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ مَلُؤُهُمْ؟ ١٣ فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا الْأُمَّمُ: بِمَا أَنِّي أَنَا رَسُولٌ لِلْأُمَّمِ أَمَجِّدُ خِدْمَتِي ٤ الْعَلِيِّ أُغِيرُ أَنْسِبَائِي وَأَخْلِصُ أَنْسَاباً مِنْهُمْ. ١٥ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ رَفُضُهُمْ هُوَ مُصَالِحَةَ الْعَالَمِ فَمَاذَا يَكُونُ اقْتِبَالُهُمْ إِلَّا حَيَاةً مِنَ الْأَمْوَاتِ؟ ١٦ وَإِنْ كَانَتْ الْبَاكُورَةُ مُقَدَّسَةً فَكَذَلِكَ الْعَجِينَ! وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ مُقَدَّساً فَكَذَلِكَ الْأَغْصَانُ! ١٧ فَإِنْ كَانَ قَدْ قُطِعَ بَعْضُ الْأَغْصَانِ وَأَنْتَ زَيْتُونَةٌ بَرِيَّةٌ طَعِمْتَ فِيهَا فَصِرْتَ شَرِيكاً فِي أَصْلِ الزَيْتُونَةِ وَدَسَمَهَا ١٨ فَلَا تَفْتَخِرْ عَلَى الْأَغْصَانِ. وَإِنْ افْتَحَرْتَ فَأَنْتَ لَسْتَ تَحْمِلُ الْأَصْلَ بَلِ الْأَصْلُ إِيَّاكَ يَحْمِلُ! ١٩ فَسْتَقُولُ: «قُطِعَتِ الْأَغْصَانُ لِأَطْعَمَ أَنَا». ٢٠ حَسَنًا! مِنْ أَجْلِ عَدَمِ الْإِيمَانِ قُطِعَتْ وَأَنْتَ بِالْإِيمَانِ تَبَّتْ. لَا تَسْتَكْبِرْ بَلْ خَفْ! ٢١ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللّٰهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الْأَغْصَانِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَعَلَّهُ لَا يُشْفِقُ عَلَيْكَ أَيْضاً! ٢٢ فَهَوَذَا لُطْفُ اللّٰهِ وَصَرَامَتُهُ: أَمَّا الصَّرَامَةُ فَعَلَى الَّذِينَ سَقَطُوا وَأَمَّا اللُّطْفُ فَلَكَ إِنْ تَبَّتْ فِي اللُّطْفِ وَإِلَّا فَأَنْتَ أَيْضاً سَتَقُطِعُ. ٢٣ وَهُمْ إِنْ لَمْ يَتَّبِعُوا فِي عَدَمِ الْإِيمَانِ سَيُطَعَّمُونَ. لِأَنَّ اللّٰهَ قَادِرٌ أَنْ يُطَعِّمَهُمْ أَيْضاً. ٢٤ لِأَنَّهُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ قُطِعْتَ مِنَ الزَيْتُونَةِ الْبَرِّيَّةِ حَسَبَ الطَّبِيعَةِ وَطَعِمْتَ بِخِلَافِ الطَّبِيعَةِ فِي زَيْتُونَةٍ جَيِّدَةٍ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يُطَعَّمُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الطَّبِيعَةِ فِي زَيْتُونَتِهِمُ الْخَاصَّةِ؟ ٢٥ فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هَذَا السِّرَّ لِئَلَّا تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ. أَنْ الْقِسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزئِيًّا لِإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مَلُؤُ الْأُمَّمِ ٢٦ وَهَكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيُونَ الْمُنْقَذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَن. ٢٧ وَهَذَا هُوَ لَعَهْدٌ مِنْ قِبَلِي لَهُمْ مَتَى نَزَعْتُ خَطَايَاهُمْ». ٢٨ مِنْ جِهَةِ الْإِنْجِيلِ هُمْ أَعْدَاءُ مِنْ أَجْلِكُمْ وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْإِخْتِيَارِ فَهُمْ أَحِبَّاءُ مِنْ أَجْلِ الْآبَاءِ ٢٩ لِأَنَّ هِيَابَ اللّٰهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلا نَدَامَةٍ. ٣٠ فَإِنَّهُ كَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ مَرَّةً لَا تُطِيعُونَ اللّٰهَ وَلَكِنْ الْآنَ رُحِمْتُمْ بِعَصِيَانِ هَؤُلَاءِ ٣١ هَكَذَا هَؤُلَاءِ أَيْضاً الْآنَ لَمْ يُطِيعُوا لِكَيْ يُرْحَمُوا هُمْ أَيْضاً بِرَحْمَتِكُمْ. ٣٢ لِأَنَّ اللّٰهَ أَغْلَقَ عَلَى الْجَمِيعِ مَعاً فِي

العِصْيَانِ لِكَيْ يَرْحَمَ الْجَمِيعَ. 33 يَا لَعُمُقِ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامُهُ عَنِ
الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الِاسْتِيفَاءِ! 34 «لَأَنَّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟
35 أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيَكْفَأُ؟» 36 لَأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ.
أَمِينَ. (رومية 11).

وصلنا إلى القسم الأخير من بحث الرسول في رفض الكثيرين من بني شعبه للمسيح يسوع. وقد تعلمنا من الدرسين السابقين أن الانحدار من إبراهيم الخليل لا يضمن بحد ذاته القبول لدى الله إذ أن الله يود من أولاد إبراهيم بأن يتمثلوا بأبيهم وأن تكون حياتهم حياة الإيمان. والسبب الرئيسي لفشل بني اسرائيل هو أنهم بحثوا عن برهم بواسطة الأعمال أي خارج نطاق النعمة الخلاصية التي أعدها الله وأتمها بواسطة المسيح تلك النعمة التي يستفيد منها الإنسان بالإيمان.

يبحث الرسول في الفصل الحادي عشر في بعض المواضيع التي تتعلق ببني جنسه وبتدبير الله للخلاص. السؤال الأول الذي يطرحه الرسول هو: هل يجب أن نظن بأن باب الخلاص قد أغلق نهائياً؟ الجواب لا. أليس بولس وغيره من الرسل دليلاً على أن الله لم يرفض الجميع إذ أنهم كانوا من اليهود ولكنهم آمنوا بالمسيح فصاروا من أتباعه. وتمتعوا بخلاصه العظيم. إن النبي إيليا كان قد تصور قبل مئات السنين بأنه كان آخر من يعبد الله وأن الجميع ذهبوا وراء عبادة البعل ولكن الله أوحى له بأنه احتفظ بسبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبهم لبعل. وهكذا مع أن الكثيرين من اليهود كانوا يرفضون الإنجيل في أيام بولس إلا أن ذلك لم يعن بأن الجميع كانوا يرفضون. كان الرسول قد اختبر في رحلاته التبشيرية بأن البعض من بني جنسه كانوا يرحبون بكلمة الإنجيل.

إن سبب فشل اسرائيل هو عدم الإيمان بما قام به الله من أعمال خلاصية جبارة وسبب قبول الأمم أي الوثنيين في الملكوت هو أنهم كانوا يقبلون إليه بالإيمان. يلجأ الرسول إلى مثل الزيتون الجيدة التي أنشئت منذ أيام إبراهيم والتي كانت تمثل شعب الله. فالأغصان الطبيعية التي رفضت الإيمان بمن جاء من نسل إبراهيم ليكون مخلص العالم قطعت وطعمت الأغصان البرية التي لم تكن أصلاً من نسل إبراهيم حسب الجسد ولكنها صارت جزءاً لا يتجزأ من شعب الله نظراً لإيمانها بيسوع المسيح. وهذا ضروري لبقائنا في ملكوت الله وعدم الإيمان بقطعنا من الملكوت.

لكن الرسول كما كان قد أخبر في حياته وفي رحلاته التبشيرية لم يرد أن يقول بأن القساوة التي وقع فيها اسرائيل كانت تامة وخاصة نظراً لوحي الله الذي كان قد استلمه بهذا الخصوص: إن الأمم سوف يستمرون في الدخول إلى الملكوت أثناء مسيرة التاريخ وسوف

يبقى الإنجيل على ما هو: طريقة الخلاص لكل من يؤمن وبهذه الطريقة فإن الذين لا يزالون يهوداً يستطيعون قبول الإنجيل والمسيح يسوع والحصول على الخلاص.

يبقى الإيمان الأساس الوحيد لدخول الملكوت وكما قال الرسول: وهم أن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيطعمون. ومتى آمنوا فأنهم يصبحون من أولاد إبراهيم حسب الروح وليس فقط حسب الجسد.

الدرس الثاني والعشرون

" فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللَّهِ أَنْ تَقْدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللَّهِ عِبَادَتِكُمْ الْعَقْلِيَّةَ. ٢ وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ بَلْ تَغَيِّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَدْهَانِكُمْ لِتَخْتَرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللَّهِ الصَّالِحَةَ الْمَرْضِيَّةَ الْكَامِلَةَ. ٣ فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لَا يَرْتَبِي فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَبِي بَلْ يَرْتَبِي إِلَى التَّعَقُّلِ كَمَا فَسَمَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَاراً مِنَ الإِيمَانِ. ٤ فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ ٥ هَكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ وَأَعْضَاءٌ بَعْضاً لِبَعْضٍ كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ. ٦ وَلَكِنْ لَنَا مَوَاهِبٌ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنْبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ ٧ أَمْ خِدْمَةٌ فَبِالْخِدْمَةِ أَمْ الْمُعَلِّمُ فَبِالتَّعْلِيمِ ٨ أَمْ الوَاعِظُ فَبِالْوَعْظِ الْمُعْطِي فَبِالسَّخَاءِ الْمُدَبِّرِ فَبِالْجَهَادِ الرَّاحِمِ فَبِالسَّرُورِ. ٩ الْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلَا رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرِّ مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ ١٠ وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكِرَامَةِ ١١ غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ حَارِينَ فِي الرُّوحِ عَابِدِينَ الرَّبِّ ١٢ فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ صَابِرِينَ فِي الضَّرِّ يُقِ مُوَاطِبِينَ عَلَى الصَّلَاةِ ١٣ مُشْتَرِكِينَ فِي اخْتِيَابَاتِ الْقَدِيسِينَ عَاكِفِينَ عَلَى إِضَافَةِ الْعُرْبَاءِ. ١٤ بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهُدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلَا تَلْعَنُوا. ١٥ فَرِحاً مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ. ١٦ مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَاماً وَاحِداً غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَضَعِينَ. لَا تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ. ١٧ لَا تُجَازُوا أَحَداً عَنِ الشَّرِّ بِشَرِّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. ١٨ إِنْ كَانَ مُمْكِناً فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. ١٩ أَلَا تَنْتَقِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ بَلْ أَعْطُوا مَكَاناً لِلْعُضْبِ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِي النِّقْمَةُ أَنَا أَجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. ٢٠ فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَاطْعِمِهِ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعُ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ». ٢١ أَلَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ " (رومية ١٢).

انتهى الرسول بولس في الفصل الثامن من البحث في عقيدة التبرير بالإيمان والعقائد الأخرى التي تُولف معها سلسلة تدبير الله لخلاص الإنسان من الخطية والشر والموت. وقد رأينا أيضاً أن الرسول بحث في الفصل التاسع والعاشر والحادي عشر في موضوع فشل إسرائيل وذلك لعدم إيمانهم بالمسيح يسوع. وبوصولنا إلى الفصل الاثني عشر نبدأ بالقسم الثالث والأخير من هذه الرسالة وهذا القسم يدعى بالقسم العملي نظراً لكثرة الأمور التي يجب على المؤمن أن يطبقها في حياته.

يجدر بنا أن نلاحظ بشكل عام أن طريقة الكتاب المقدس هي على هذا المنوال: أولاً الإيمان ثم الحياة المبنية على الإيمان إذ أن كلمة الله لا تعرف إيماناً غير عامل ولا عملاً غير مبني على الإيمان القويم. وكان من المنتظر أن يتطرق الرسول للكلام عن الأمور العملية بعد الكلام عن الأمور العقائدية لأنه كان قد أكد منذ البدء أن التبرير بالإيمان لا

يجرى بمفرده بل أن الله يعطي المؤمن طبيعة جديدة تساعد على العيش حسب شريعته المقدسة.

ويمكن النظر إلى نصنا الكتابي كمجموعة من التعليمات التي وجهها الرسول إلى المؤمنين في رومية وفي سائر العصور والأقطار والتي تتعلق جميعها بالطريقة التي يجب أن يسلك فيها المؤمنون.

١. يتطرق الرسول إلى الكلام عن وجوب تقديم الحياة بأسرها كذبيحة مقدسة لله وذلك بواسطة العبادة العقلية الخالية من كل رياء أو خداع. وبعبارة أخرى يسعى المؤمن لإرضاء الله في سائر نواحي حياته. لا يتم هذا إلا إذا جاهد المؤمن في سبيل عدم مشاكلة هذا الدهر أي الحياة الحاضرة السائرة خارج نطاق مشيئة الله. وإذا امتنع المؤمن عن تكييف حياته حسب مباديء هذا العالم الفاني فإنه إذ ذاك ينجح في الوصول إلى معرفة إرادة الله الصالحة والكاملة فيما يتعلق بجميع تفاصيل الحياة.

٢. يطلب الرسول من المؤمن ألا ينظر إلى نفسه نظرة ملؤها الإعجاب بل أن ينظر إلى نفسه من وجهة نظر تدبير الله وذلك يقتضي أن يرى المؤمن نفسه كعضو حي ضمن جسد الكنيسة المتعدد الأعضاء. الحياة المسيحية العملية غير ممكنة في العزلة والانكماش إذ أنها لا تزدهر ولا تصل إلى الغاية التي رسمها لها الله إلا ضمن العضوية في الكنيسة الحية العاملة. الله هو الذي يهبنا الإيمان والخلاص وهو الذي يهبنا أيضاً المواهب المختلفة من أجل خير الكنيسة بأسرها. وإذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار فإننا نسعى على العمل حسب مواهبنا المختلفة عالمين أن الله لم يشأ أن يعطينا جميعاً المواهب بشكل واحد.

٣. أن الاعتقاد بأن الله هو صانع الخلاص وأنه هو الذي يبزر الخاطيء لا يعني أن حياة الإيمان هي حياة تقاعس وخمول وكسل. ينتظر الله من المؤمنين أن يكونوا جادين في العمل على إظهار جميع ثمار الحياة الجديدة في علاقتهم مع بعضهم البعض وكذلك في موقفهم منه الذين لا يزالون خارج نطاق الملكوت. وهكذا على المؤمن أن يُظهر محبته للجميع بدون رياء وأن يكره الشر من أعماق قلبه ويلتصق بالخير. على المؤمن أن يجتهد في سبيل ربه ومخلصه وأن يفرح في الرجاء المسيحي الذي يعلمه بأن النصر النهائي هو لملكوت الله لا لملكوت الشر والشيطان.

٤. يأتي الرسول إلى الكلام عن موقف المؤمن من الذين يصبون أنفسهم أعداء له ولربه ومخلصه. هل يعاملهم بالمثل كما تتطلب ذلك الجيلة البشرية أم هل يتمثل بمن أنقذه من سلطان الخطية والشر؟ الجواب طبعاً هو عدم مكافحة الشر بالشر بل اللجوء دوماً إلى التغلب على الشر بالخير. هذه طريقة الله وهذه الطريقة يجب أن تستعمل من قبل الذين

ذاقوا خلاص الرب. إن مجازاة الشرير هي للرب وهكذا يأمر الرسول الجميع ألا ينتقموا لأنفسهم تاركين ذلك للرب الذي سيجازي كل إنسان حسب أعماله في يوم الدين.

من البديهي أن المؤمن لا يستطيع القيام بجميع ما يطلب منه إن اتكل على قواه الخاصة ولذلك فإن الهدف السامي الذي وضعه الرسول أمام عينيه لا بد من أن يدفعه إلى اللجوء إلى المخلص وإلى روحه القدوس طالباً النعمة الكافية لتمكينه من تقديم كل حياته كذبيحة مقدسة ومرضية عند الله.

الدرس الثالث والعشرون

" ١ التَّخَضَعُ كُلُّ نَفْسٍ لِّلسَّلَاطِينِ الْفَائِقَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَالسَّلَاطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرْتَبَةٌ مِنَ اللَّهِ ٢ حَتَّىٰ إِنْ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللَّهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لِأَنفُسِهِمْ دَيْئُونَةً. ٣ فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشَّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لَا تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ أَفَعَلِ الصَّلَاحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ ٤ لِأَنَّهُ خَادِمٌ لِلَّهِ لِلصَّلَاحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفَ لِأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا إِذْ هُوَ خَادِمٌ لِلَّهِ مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ. لِذَلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يُخَضَعَ لَهُ لَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا بِسَبَبِ الضَّمِيرِ. ٦ فَإِنَّكُمْ لِأَجْلِ هَذَا تُؤْفُونَ الْجِزْيَةَ أَيْضًا إِذْ هُمْ خُدَّامُ اللَّهِ مُوَاطِبُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ. ٧ فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجَبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجَبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالْإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ. ٨ لَا تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بِأَنْ يُجِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ. ٩ لِأَنَّ «لَا تَزْنِ لَا تَقْتُلْ لَا تَسْرِقْ لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ لَا تَشْتَهَ» وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَىٰ هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ: «أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». ١٠ الْمَحَبَّةُ لَا تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيبِ فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ. ١١ هَذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ أَنَّهَا الْآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ فَإِنَّ خَلَّصْنَا الْآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَتْ حِينَ أَمْنَا. ١٢ قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ. ١٣ لِنَسْلُكْ بِلَيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ لَا بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ لَا بِالْمُضَاجِعِ وَالْعَهْرِ لَا بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ. ١٤ بَلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَلَا تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لِأَجْلِ الشَّهَوَاتِ " (رومية ١٣).

نبحث في الفصل الثالث عشر في واجبات المؤمن تجاه الدولة والمجتمع والنظر إلى هذه الواجبات من وجهة نظر رجوع السيد المسيح إلى العالم في نهاية التاريخ.

١. واجبات المؤمن تجاه الدولة: مع أن الدولة هي مؤسسة لرعاية شؤون هذه الحياة إلا أنها من وضع الله وترتيبه. لأنه ليس سلطة أو سلطان إلا من الله والسلطات أو السلاطين الكائنة هي من الله. هذا هو المبدأ الرسولي الذي يتوجب على كل مؤمن أن يتقيد به تجاه السلطات الحكومية، فالحرية التي ينعم بها المؤمن نظراً لتبنيه من الله لا تعني أنه يصبح بدون أي قيد أو نظام. النظام هو من أساس الكون وهو ترتيب الله لجميع شؤون الكائنات وخاصة للكائنات الحية والعاقلة.

ينتج عن مبدأ الرسول بخصوص وجود السلطات الحكومية نظراً لترتيب الله ومشيئته أن من يقاوم السلطات يقاوم ترتيب الله. الفوضوية ليست ضمن مشيئة الله للعالم وكل من يكره النظام الكائن في بلاده ويحاول نشر الفوضى وعدم الاحترام للقوانين المعمول بها لا يقاوم الحكام فقط بل الله الذي وضع الحكام في مناصبهم.

أوجد الله الحكام لمعاقبة الأشرار ولصيانة حقوق الأبرار ولتوفي الشروط اللازمة للحياة البشرية. فالذي يعمل الصلاح لا يخاف من السلطات بل إنما يمدح منها ولكن الذي يعمل الشر فإنه يخاف من السلطات لأنها لا تحمل السيف وهو رمز قوتها عبثاً بل إنما لتعاقب كل من يود العبث بأرواح وحقوق المواطنين.

على المؤمن ألا يهاب السلطات بسبب الخوف بل بسبب الضمير أي أنه كمن ذاق خلاص الرب يعمل على احترام ومهابة جميع الأنظمة التي أوجدها الرب. وهذا ليس فقط من الناحية المبدئية فحسب بل من واجب المؤمن أن يظهر مهابته واحترامه ومحبته لبلاده من الناحية العملية. وهذا الأمر يظهر بشكل خاص في دفع الضرائب أو الرسوم. يعرف المؤمن أن السلطات تحتاج إلى الأموال لتسيير أمور الدولة وأن هذه الأموال يحصل عليها بواسطة الضرائب والرسوم فهو لذلك لا يتهرب من دفعها متذكراً قول الرب يسوع: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

٢. أما واجبات المؤمن نحو المجتمع الذي يعيش فيه فهو إعطاؤه كل حقه وعدم البقاء في حالة الدين بصورة دائمة أو عدم دفعه كما يفعل ذلك غير المؤمنين. لكن على المؤمن أن يبقى في حالة الدين بالنسبة إلى محبة الآخرين. على المؤمن ألا يظن بأنه بإظهاره محبة لقربيه في يوم من الأيام أنه يكون بذلك قد قام بجميع واجباته نحو الآخرين. كلا، إن المؤمن هو في حالة دين مستمر فيما يتعلق بمحبة الآخرين. لأن محبة الآخرين هي تكميل الشريعة. مثلاً من كان بالحقيقة يحب قربيه محبة مبنية على تعليم الوصايا الإلهية فهل يعمد إلى الزنى أو السرقة أو الشهادة بالزور أو الشهوة؟ شعار المؤمن في جميع علاقاته الاجتماعية هو المحبة للجميع والابتعاد عن إيذاء أي إنسان. وبهذه الطريقة يعلم الجميع أن المؤمن هو إنسان جديد لأن الذين لم يؤمنوا بعد بتدبير الله للخلاص لا يفهمون البشارة ولا تطبيق البشارة في الحياة ولكنهم لا يقدرّون إنكار وجود حياة المحبة الحقيقية إن رآوها ضمن حياة المؤمن وهي تظهر بكل وضوح في علاقاته معهم ومع سائر أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.

٣. على المؤمن أن ينظر إلى الحياة الحاضرة من وجهة نظر رجوع السيد المسيح إلى العالم في نهاية الزمن. طبعاً إن الإنجيل له التطبيقات العديدة لأمر هذه الحياة ولكن الإنجيل لا يعطينا مطلقاً الفكرة بأن هذه الحياة ستدوم على منوالها الحالي إلى ما لا نهاية. لا بد للعالم من النهاية عندما يعود المسيح يسوع إلى الأرض لدينونة الأحياء والأموات في يوم الدين. وهكذا فإن أعمال الظلمة والشور التي يقوم بها غير المؤمنين لا بد من أن تظهر على بشاعتها ولا بد من أن تأتي بفاعليها إلى دينونة الله العادلة في يوم الرب. ما هو واجب المؤمن تجاه جميع أمور هذه الحياة؟ واجبه هو أن يتذكر دوماً بأن الوقت قد حان للعمل بكل جد ونشاط في سبيل الله وبأن يتمثل بالمسيح في حياته صانعاً الخير ومبكتاً

جميع فاعلي الشر مظهراً لهم أن مغبة عدم التوبة هي الموت الأبدى. وإذ يجاهد المؤمن في حياته يقدر أن يقول لنفسه كل يوم أن ساعة خلاصه النهائي هي أقرب مما كانت حين آمن بمخلصه وأن جميع جهوده للحياة حسب إرادة الله ستتكلل بالنجاح بعون الله.

الدرس الرابع والعشرون

" ١ وَمَنْ هُوَ ضَعِيفٌ فِي الْإِيمَانِ فَاقْبَلُوهُ لَا لِمَحَاكِمَةِ الْأَفْكَارِ. ٢ وَاحِدٌ يُؤْمِنُ أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَمَّا الضَّعِيفُ فَيَأْكُلُ بَقُولًا. ٣ لَا يَزِدْ مَنْ يَأْكُلُ بِمَنْ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَدِينُ مَنْ لَا يَأْكُلُ مَنْ يَأْكُلُ - لِأَنَّ اللَّهَ قَبْلَهُ. ٤ مَنْ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ عَبْدَ غَيْرِكَ؟ هُوَ لِمَوْلَاهُ يَتَّبِعُ أَوْ يَسْقُطُ. وَلَكِنَّهُ سَيُنَبِّتُ لِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُنْبِتَهُ. ٥ وَاحِدٌ يَعْتَبِرُ يَوْمًا دُونَ يَوْمٍ وَآخَرٌ يَعْتَبِرُ كُلَّ يَوْمٍ - فَلْيَتَّبِعَنَّ كُلُّ وَاحِدٍ فِي عَقْلِهِ: ٦ الَّذِي يَهْتَمُّ بِالْيَوْمِ فَلِلرَّبِّ يَهْتَمُّ وَالَّذِي لَا يَهْتَمُّ بِالْيَوْمِ فَلِلرَّبِّ لَا يَهْتَمُّ. وَالَّذِي يَأْكُلُ فَلِلرَّبِّ يَأْكُلُ لِأَنَّهُ يَشْكُرُ اللَّهَ وَالَّذِي لَا يَأْكُلُ فَلِلرَّبِّ لَا يَأْكُلُ وَيَشْكُرُ اللَّهَ. ٧ لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ وَلَا أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ. ٨ لِأَنَّنَا إِنِ عَشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عَشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ. ٩ لِأَنَّهُ لِهَذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ. ١٠ وَأَمَّا أَنْتَ فَلِمَاذَا تَدِينُ أَحَاكَ؟ أَوْ أَنْتَ أَيْضًا لِمَاذَا تَزِدْرِي بِأَخِيكَ؟ لِأَنَّنَا جَمِيعًا سَوْفَ نَقِفُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ ١١ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «أَنَا حَيٌّ يَقُولُ الرَّبُّ إِنَّهُ لِي سَتَجُتُّو كُلُّ رُكْبَةٍ وَكُلُّ لِسَانٍ سَيَحْمَدُ اللَّهَ». ١٢ فَإِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا لِلَّهِ. ١٣ فَلَا نَحَاكِمُ أَيْضًا بَعْضُنَا بَعْضًا بَلْ بِالْحَرِيِّ احْكُمُوا بَهَذَا: أَنْ لَا يُوضَعَ لِلْأَخِ مَصْدَمَةٌ أَوْ مَعْتَرَةٌ. ١٤ إِنِّي عَالِمٌ وَمُتَّبِعٌ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ نَحِسًا بِذَاتِهِ إِلَّا مَنْ يَحْسِبُ شَيْئًا نَحِسًا فَلَهُ هُوَ نَحِسٌ. ١٥ فَإِنْ كَانَ أَخُوكَ بِسَبَبِ طَعَامِكَ يُحْزَنُ فَلَسْتَ تَسْلُكُ بَعْدَ حَسَبِ الْمَحَبَّةِ. لَا تُهْلِكْ بِطَعَامِكَ ذَلِكَ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِهِ. ١٦ فَلَا يُفْتَرَّ عَلَى صَلَاحِكُمْ ١٧ لِأَنَّ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللَّهِ أَكْلًا وَشُرْبًا بَلْ هُوَ بَرٌّ وَسَلَامٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ. ١٨ لِأَنَّ مَنْ خَدَمَ الْمَسِيحَ فِي هَذِهِ فَهُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ اللَّهِ وَمَرْكَبٌ عِنْدَ النَّاسِ. ١٩ فَلْنَعْكُفْ إِذَا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلَامِ وَمَا هُوَ لِلنُّبْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ. ٢٠ لَا تَنْقُضْ لِأَجْلِ الطَّعَامِ عَمَلَ اللَّهِ. كُلُّ الْأَشْيَاءِ طَاهِرَةٌ لَكِنَّهُ شَرٌّ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي يَأْكُلُ بَعْتَرَةً. ٢١ حَسَنٌ أَنْ لَا تَأْكُلَ لَحْمًا وَلَا تَشْرَبَ خَمْرًا وَلَا شَيْئًا يَصْنَطِدُ بِهِ أَخُوكَ أَوْ يَعْثُرُ أَوْ يَضْعَفُ. ٢٢ أَلَيْكَ إِيْمَانٌ؟ فَلْيَكُنْ لَكَ بِنَفْسِكَ أَمَامَ اللَّهِ! طُوبَى لِمَنْ لَا يَدِينُ نَفْسَهُ فِي مَا يَسْتَحْسِنُهُ. ٢٣ وَأَمَّا الَّذِي يَزْتَابُ فَإِنْ أَكَلَ يُدَانُ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ وَكُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ فَهُوَ خَطِيئَةٌ " (رومية ١٤)

يوجه الرسول بولس كلماته في الفصل الرابع عشر من رسالته إلى رومية إلى أعضاء الكنيسة ويذكر العلاقات الودية التي يجب أن تسود بينهم وأهمية العيش حسب مبدأ التسامح وعدم الانتقاد فيما يتعلق بالأمور الثانوية التي ليس لها أهمية كبرى. وهذه التعاليم الرسولية ذات قيمة دائمة لأنها تعطينا المبادئ اللازمة لمعالجة جميع الأمور التي تواجهنا ضمن جماعة الإيمان والتي يتكلم عنها الرسول هي ثانوية في حد ذاتها إلا أنها قد تسبب الانقسام والخصام ولذلك يجب معالجتها حسب تعاليم الرسول ونصائحه.

يبدأ الرسول بالكلام عن الشخص الضعيف الإيمان ووجوب قبوله بدون تردد. وهو لا يشير إلى المبدأ الإنجيلي المتعلق بكيفية التبرير كما يظهر لنا من بقية الفصل. لا يعلمنا

الرسول بأن نتساهل في أمور العقائد الأساسية للديانة الكتابية. والفصول الأولى من الرسالة تثبت بأن الإيمان شرط أساسي للخلاص لأن البار إنما بالإيمان يحيا. فما يشير إليه الرسول هو إذن الأمور التي تتعلق بالحياة المادية و ببعض العادات الاجتماعية التي كان قد ورثها الأعضاء من البيئات التي خرجوا منها. فجماعة الإيمان في رومية وفي مدن الإمبراطورية الأخرى لم تكن متألفة من شعب واحد أو من جنس واحد بل من عدة شعوب وأجناس. كان لابد إذن من وجود الاختلاف في العادات وفي النظر إلى أمور الحياة الأرضية. المهم إذن أن يضع المؤمنون نصب أعينهم مبدأ التسامح لكي لا ينقلبوا إلى منتقدي أخوتهم في الكنيسة.

كان البعض من المؤمنين يأكلون جميع المأكّل بدون تردد بينما ذهب آخرون إلى النقيض إذ أنهم امتنعوا عن أكل اللحوم بصورة تامة مكتفين بالخضار والبقول. المبدأ الرسولي هو: إن كنت من الذين يأكلون جميع المأكّل لا تحتقر أولئك الذين لا يأكلون إلا البقول والخضار، وإن كنت من الممتنعين عن أكل اللحوم فلا تنتقد آكلي اللحوم. المؤمن حر ضمن حياته الخاصة بأن يأكل ما يشاء أو أن يمتنع عن أكل ما يشاء. لكن لا يجوز للذي حرم نفسه أكل اللحوم بأن يجعل من موقفه قاعدة عامة يجب أن يتبعها جميع المؤمنين. إن سار على ذلك الطريق فإنه يكون بذلك قد تجرأ على اغتصاب مكان الله الفريد في حياة المؤمنين إذ أن الله وحده هو صاحب السلطة التشريعية المتعلقة بكيفية الحياة.

على المؤمنين أن يذكروا دوماً أن ملكوت الله الذي دخلوه بالإيمان ونظراً لعمل يسوع الفدائي على الصليب لا يتكون من الأمور المتعلقة بالمأكولات والمشروبات بل إنه بر وسلام وفرح في الروح القدس. إن الأمور المتعلقة بالحياة الأرضية فقط هي أمور تافهة عندما تقارن بأمور الحياة الأبدية وبواجبات المؤمن ضمن ملكوت الله. لابد للمؤمنين من أن ينشغلوا في أمور الملكوت وأن لا يبذروا أوقاتهم في النقاش في أمور الحياة الأرضية التي ليست ذات أهمية كبيرة.

عمل الله كل شيء جيداً منذ البدء ولذلك لا نستطيع أن ننتقد مخلوقاته ولا الأطحمة التي يعطينا إياها في الطبيعة. هناك البعض من الذين يعتقدون بأن كل شيء في الطبيعة هو صالح للأكل فمن واجب الذين يؤمنون بكونها جائزة أن لا يتصرفوا بطريقة تعثر أخوتهم الذين ليس لهم ذلك المعتقد. المبدأ الذي يتركه لنا الرسول هو: حسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر به أو يضعف. لتكن المحبة الأخوية رائد الجميع وإذ ذاك تتلاشى هذه الخلافات التافهة ويعمل الجميع على الاجتهاد في أمور الحياة الروحية وعلى نشر الإيمان في كل مكان.

وما هو واجب الإنسان الذي لا يقدر أن يتخلص من الخوف بأنه يخطيء ضد الشريعة الإلهية أن أقدم على عمل ما؟ جواب الرسول هو: كل ما ليس من الإيمان فهو خطية. الإيمان لازم في كل قرار يتخذه الإنسان وعلى الضمير أن يبكت الإنسان إن لم يكيف حياته حسب إيمانه. لكن هل يعني هذا بأن المؤمن يصبح مصدر القوانين أو المبادئ التي تسود حياته؟ كلا، تبقى كلمة الله مصدر جميع الشرائع ولذلك يجدر بالجميع أن يخضعوا معتقداتهم والعادات المبنية عليها لتعاليم كلمة الله المحررة.

الدرس الخامس والعشرون

" ١ فَيَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الْأَقْوِيَاءُ أَنْ نَحْتَمِلَ أضعاف الضُّعَفَاءِ وَلَا نُرْضِيَ أَنْفُسَنَا. ٢ فَلَئِنْ رِضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَرِيبَهُ لِلْخَيْرِ لِأَجْلِ الْبُنْيَانِ. ٣ لِأَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً لَمْ يُرِضْ نَفْسَهُ بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «تَعْيِيرَاتٌ مُعَيَّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ». ٤ لِأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لِأَجْلِ تَعْلِيمِنَا حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ. ٥ وَلِيُعْطِيَكُمُ إِلَهُ الصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ أَنْ تَهْتَمُّوا اهْتِمَاماً وَاحِداً فِيمَا بَيْنَكُمْ بِحَسَبِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ ٦ لِكَيْ تُمَجِّدُوا اللَّهَ أَبَا رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفِيمَ وَاحِدٍ. ٧ لِذَلِكَ أَقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً قَبِلَنَا لِمَجْدِ اللَّهِ. ٨ وَأَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ قَدْ صَارَ خَادِمَ الْخِتَانِ مِنْ أَجْلِ صِدْقِ اللَّهِ حَتَّى يُثَبِّتَ مَوَاعِيدَ الْأَبَاءِ. ٩ وَأَمَّا الْأُمَّمُ فَمَجِّدُوا اللَّهَ مِنْ أَجْلِ الرَّحْمَةِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَأَحْمَدُكَ فِي الْأُمَّمِ وَأُرْتِّلُ لِاسْمِكَ» ١٠ وَيَقُولُ أَيْضاً: «تَهَلَّلُوا أَيُّهَا الْأُمَّمُ مَعَ شَعْبِهِ» ١١ وَأَيْضاً: «سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ الْأُمَّمِ وَامْدَحُوهُ يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ» ١٢ وَأَيْضاً يَقُولُ إِشْعْيَاءُ: «سَيَكُونُ أَصْلٌ يَسَى وَالْقَائِمُ لِيَسُودَ عَلَى الْأُمَّمِ. عَلَيْهِ سَيَكُونُ رَجَاءُ الْأُمَّمِ». ١٣ وَلِيَمْلَأَكُمُ إِلَهُ الرَّجَاءِ كُلَّ سُرُورٍ وَسَلَامٍ فِي الْإِيمَانِ لِتَزْدَادُوا فِي الرَّجَاءِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ " (رومية ١٥: ١-١٣).

لم ينته الرسول بولس من البحث في موضوع العلاقات التي يجب أن تسود بين أعضاء الكنيسة المسيحية المتكونة من أناس ذوي جنسيات وعادات مختلفة. كان الرسول قد علمنا في الفصل الرابع عشر أن واجب المؤمنين هو أن يتخذوا مبدأ التسامح والتساهل فيما يتعلق بالأمور الثانوية التي لا تمس قلب المباديء الإنجيلية.

فالذي يود التقيد ببعض التقاليد المختصة بالمآكل وبحفظ الأيام الخاصة عليه ألا ينتقد أو يدين من يأكل جميع الأشياء الصالحة والتي لا تضر بالصحة. وكذلك على هذا الأخير ألا يحتقر من قيد نفسه بقيود عديدة تتعلق بأمور هذه الحياة الأرضية. وكذلك علمنا الرسول بأنه لا يجوز للمؤمن بأن يرفع اعتقاداته الشخصية بخصوص هذه الأمور الثانوية إلى منصة الإيمان الواجب إتباعه من قبل الجميع. ولا يجوز أيضاً للقوي في الإيمان أي الذي يتمتع بالحرية المسيحية التي تصدر عن فهم تام لمباديء الإنجيل السامية بأن يعيش ويتصرف هكذا حتى أن أخاه الضعيف يتقهقر في حياته الروحية إلى درجة فقدان الإيمان بأسره. رائد القوي في الإيمان هو: لن أعمل أي شيء ليصدم أخي في حياته الروحية ورائد الضعيف في الإيمان بالنسبة إلى أمور حياته الخاصة هو: إن شككت في أي أمر، في كونه حلالاً أو حراماً علي أن أتأكد تماماً قبل القيام به فيما إذا كان حلالاً أو حراماً، إذ أن كل ما ليس من الإيمان فهو خطية. إن وضع جميع المؤمنين هذه المباديء موضع التنفيذ تتلاشى الخصومات والانشقاقات الداخلية ويحل محلها السلام والوئام.

يتابع الرسول بحثه في هذا الأمر في القسم الأول من الفصل الخامس عشر من رسالته إلى رومية موجهاً كلامه بصورة خاصة إلى الأقوياء في الإيمان أي إلى الذين لا يقيدون أنفسهم بقيود لم يأمر بها الله في إنجيله المقدس. لنعمل جهدنا نحن الأقوياء لكي نحتمل مواقف الضعفاء وذلك إن جعلنا هدفنا لا إرضاء أنفسنا – مع كوننا محقين في موقفنا بخصوص المآكل المحللة – بل إرضاء الآخرين. وهذا أمر قد يغرب عن بال الأقوياء من المؤمنين وهم ينتصرون لموقفهم من الأمور التي يختلفون فيها عن الأعضاء الضعفاء. وهذا هو ضرورة التقيد دائماً بشريعة المحبة التي تلخص الناموس بأسره. إن محبة القريب كالنفس هي خلاصة اللوح الثاني من الوصايا العشر ذلك اللوح الذي ينظم علاقة الإنسان بقريبه الإنسان. ولذلك فإن الرسول يوجه أنظارنا إلى ضرورة العمل بروح شريعة المحبة، الشريعة التي سار على منوالها الرب يسوع المسيح أثناء حياته على الأرض.

لم يتصرف السيد يسوع المسيح وهو رب العالمين وسيد الكون بروح الانتصار دائماً لحقوقه المشروعة بل أنه لم يرض نفسه كما هو مكتوب: تعبيرات معيريك وقعت علي. وكل ما كتب بخصوص المسيح يسوع في الكتب المقدسة إنما كتب من أجل تعليمنا لكي نمثل بحياة المسيح يسوع ونفتدي بجميع خطواته. لا يجوز لمن نال بره مجاناً من الله بإيمانه بالمسيح أن يظل على حالة من الخمول والجمود أو أن يحيا حسب مبادئ الطبيعة القديمة التي طلقها. يجب على كل مؤمن أن يضع نصب عينيه أن يحيا في خطوات ربه ومخلصه يسوع المسيح وإذ ذاك فإنه إنما يعمل لمجد الله ولسلام أخوته المؤمنين ولبنائهم في الحياة المسيحية.

والحقيقة الناصعة التي يجب ألا تغرب عن بالنا ونحن نفكر بالأمور التي نختلف فيها عن بعض المؤمنين هي أن يسوع المسيح قد قبلهم هم أيضاً. إننا لا نستطيع أن نحتكر فوائد الإيمان لأنفسنا وللذين يفكرون مثلنا في جميع أمور هذه الحياة. من قبله يسوع لا يستطيع أن يرفضه أتباع يسوع. وهكذا فإن المسيح يسوع صار حسب ترتيب الله خدام الختان أي أنه أثناء حياته الأرضية عمل فقط ضمن نطاق شعب الله القديم وضمن الأراضي المقدسة. وبعمله حسب ترتيب الله الذي كان قد ذكر للأبء بواسطة الأنبياء أظهر أنه كان يقدم لهم الخلاص الذي تممه على الصليب. ولكن المسيح لم يأت فقط من أجل خلاص شعب واحد بل من أجل خلاص جميع الشعوب والأمم ولذلك فإن الكتب المقدسة أي أسفار العهد القديم من موسى إلى داود إلى إشعياء ذكرت هذا الأمر: أن الأمم أيضاً كانت ستفرح وتتهلل بخلاص الرب العجيب.

يقبل المسيح يسوع إذاً جميع الذين يأتون إليه ويؤمنون به كمخلص لهم من الخطايا والشورور التي كانت عالقة بهم. الكنيسة هي كنيسة المسيح وأعضاؤها هم أعضاء في جسد

المسيح. متى أبقينا هذه الحقيقة الأساسية في عقولنا و عملنا حسب روحها ونصها لا يعود
إذاً أي مسوغ للاختلافات والانشقاقات في جميع الأمور التي يعدها الكتاب المقدس أموراً
ثانوية وتافهة كأمر المأكولات وغيرها من العادات والتقاليد الموروثة. ومتى قويت
التجارب التي تكثر في حياة المؤمنين وحاولت أن تقسمهم بسبب الأمور الثانوية فعلى
الجميع أننظر إلى الرب يسوع المسيح والإقنداء به والرضوخ إلى مشيئته. وليكن
شعارنا في الأمور الأساسية الوحدة الكتابية المسيحية وفي الأمور الثانوية التساهل
والتسامح وفي جميع الأمور يجب التمسك بالمحبة المبنية على مثال يسوع المسيح. متى
عملنا بتعاليم الرسول هذه تتلشى إلى الأبد كل الخصومات التي ليس لها أية علاقة بالإيمان
المسيحي المبني على كلمة الله المقدسة.

الدرس السادس والعشرون

١٤ " وَأَنَا نَفْسِي أَيْضاً مُتَيَقِّنٌ مِنْ جِهَتِكُمْ يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ مَشْحُونُونَ صَلَاحاً وَمَمْلُوءُونَ كُلَّ عِلْمٍ قَادِرُونَ أَنْ يُنذِرَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً. ١٥ وَلَكِنْ بِأَكْثَرِ جَسَارَةٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ جُزئياً أَيُّهَا الإِخْوَةُ كَمَا ذَكَرْتُ لَكُمْ بِسَبَبِ النِّعْمَةِ الَّتِي وَهَبْتُ لِي مِنَ اللَّهِ ١٦ حَتَّى أَكُونَ خَادِماً لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِ الأُمَّمِ مُبَاشِراً لِإِنْجِيلِ اللَّهِ كَمَا هُنِ لِيَكُونَ قُرْبَانُ الأُمَّمِ مَقْبُولاً مُقَدَّساً بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. ١٧ فَلِي افْتِحَارٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَةِ مَا لِلَّهِ. ١٨ لِأَنِّي لَا أَجْسُرُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَسِيحُ بِوَاسِطَتِي لِأَجْلِ إِطَاعَةِ الأُمَّمِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ١٩ بِقُوَّةِ آيَاتٍ وَعَجَائِبٍ بِقُوَّةِ رُوحِ اللَّهِ. حَتَّى إِنِّي مِنْ أُورُشَلِيمَ وَمَا حَوْلَهَا إِلَى اللِّيَرِيكُونَ قَدْ أَكْمَلْتُ النَّبَشِيرَ بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ. ٢٠ وَلَكِنْ كُنْتُ مُحْتَرِصاً أَنْ أَبْتَدِرَ هَكَذَا: لَيْسَ حَيْثُ سُمِّيَ الْمَسِيحُ لِئَلَّا أَبْنِي عَلَى أَسَاسٍ لِآخَرَ. ٢١ بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «الَّذِينَ لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ سَيُبْصِرُونَ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا سَيَفْهَمُونَ». ٢٢ لِذَلِكَ كُنْتُ أَعَاقُ الْمَرَارَ الكَثِيرَةَ عَنِ الْمَجِيءِ إِلَيْكُمْ. ٢٣ وَأَمَّا الآنَ فَإِنَّ لَيْسَ لِي مَكَانٌ بَعْدَ فِي هَذِهِ الأَقَالِيمِ وَلِي اسْتِثْنَاءٌ إِلَى الْمَجِيءِ إِلَيْكُمْ مِنْذُ سِنِينَ كَثِيرَةٍ ٢٤ فَعِنْدَمَا أَذْهَبُ إِلَى اسْبَانِيَا آتِي إِلَيْكُمْ. لِأَنِّي أَرْجُو أَنْ أَرَاكُمْ فِي مَرُورِي وَتَشْتَبِعُونِي إِلَى هُنَاكَ إِنْ تَمَلَّاتُ أَوْلاً مِنْكُمْ جُزئياً. ٢٥ وَلَكِنْ الآنَ أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِأَخْدِمَ الْقَدِيسِينَ ٢٦ لِأَنَّ أَهْلَ مَكِدُونِيَّةٍ وَأَخَائِيَّةٍ اسْتَحْسَنُوا أَنْ يَصْنَعُوا تَوْزِيعاً لِفُقَرَاءِ الْقَدِيسِينَ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ. ٢٧ اسْتَحْسَنُوا ذَلِكَ وَإِنَّهُمْ لَهُمْ مَدْيُونُونَ! لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الأُمَّمُ قَدْ اسْتَرَكُوا فِي رُوحِيَّاتِهِمْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَخْدِمُوهُمْ فِي الجَسَدِيَّاتِ أَيْضاً. ٢٨ فَمَتَى أَكْمَلْتُ ذَلِكَ وَخَتَمْتُ لَهُمْ هَذَا الثَّمَرَ فَسَأْمُضِي مَرّاً بِكُمْ إِلَى اسْبَانِيَا. ٢٩ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنِّي إِذَا جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَأَجِيءُ فِي مِلءِ بَرَكَاتٍ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ. ٣٠ فَاطْلُبْ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بَرَبْنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَبِمَحَبَّةِ الرُّوحِ أَنْ تَجَاهِدُوا مَعِي فِي الصَّلَوَاتِ مِنْ أَجْلِ إِلَى اللَّهِ ٣١ لِكَيْ أَنْقُدَ مِنَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ فِي اليَهُودِيَّةِ وَلِكَيْ تَكُونَ خِدْمَتِي لِأَجْلِ أُورُشَلِيمَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْقَدِيسِينَ ٣٢ حَتَّى أَجِيءَ إِلَيْكُمْ بِفَرَحٍ بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَأَسْتَرِيحَ مَعَكُمْ. ٣٣ إِلَهُ السَّلَامِ مَعَكُمْ أَجْمَعِينَ. آمِينَ " (رومية ١٥ : ١٤ - ٣٣).

وصل الرسول بولس الآن إلى القسم النهائي من رسالته إلى رومية بعد أن تكلم عن إنجيل المسيح من الناحية العقائدية ومن الناحية العملية. وفي الأعداد الباقية من الفصل الخامس عشر يأتي الرسول على ذكر بعض الأمور الشخصية المتعلقة ببرنامج للمستقبل وعن اشتياقه العظيم لزيارة الكنيسة في رومية وهو في طريقه إلى أسبانيا.

إن الرسالة الكبيرة التي كان الرسول قد أملاها والتي كانت ستذهب إلى مسيحيي رومية لم تكن تتضمن أي قلق من جهة الرسول بخصوص عدم إيمانهم إيماناً تاماً بالمسيح يسوع. كانت رغبة الرسول في تذكيرهم بالأمور التي كانوا يعلمونها وفي تقوية ذلك الإيمان الذي اشتهروا به في جميع أنحاء العالم. وكذلك كانت رغبة الرسول في تذكيرهم بضرورة العمل معه على متابعة المناداة بالإنجيل في كل مناسبة وفي جميع الأقاليم التي كانت متاخمة لهم.

كان الرسول بولس ينظر إلى نفسه كخادم لإنجيل المسيح وقد استؤمن على الرسالة الوحيدة لشفاء الأمم من أمراضهم الروحية العديدة المنبثقة من جهلهم لله ومن عبوديتهم للخطية والشيطان. كان الرسول قد وهب من الله مواهب عديدة تساعده على القيام بمهمته المقدسة في جلب الأمم أي الوثنيين إلى إطاعة الإيمان. وقد اتخذ بولس شعاراً له بالأب يذهب للعمل حيث كان آخرون يعملون للمسيح يسوع بل أن يذهب إلى الأماكن البعيدة والنائية. وأن ينادي بالإنجيل وهكذا فإنه عندما كان يملي هذه الرسالة من مدينة كورنثوس في جنوب بلاد اليونان كان قد نادى بالإنجيل من المدينة المقدسة إلى إقليم الليريكون على ضفاف البحر الأدرياتيكي (أي يوغسلافيا الحالية). ومع انشغال الرسول في هذه الأعمال التبشيرية كان يود من أعماق قلبه الذهاب إلى رومية. والآن بعد أن شعر بانتهاء مهمته التبشيرية في أقاليم اليونان وآسيا الصغرى ونظراً لتأسيس الكنائس العديدة في هذه المناطق عزم الرسول على الذهاب إلى الجزء الغربي من حوض البحر الأبيض المتوسط والتبشير في أسبانيا. وكل ما تبقى من عمله هو أخذ التقدّمات والمساعدات المالية التي كانت كنائس بلاد اليونان قد جمعتها من أجل الفقراء من المؤمنين في مدينة القدس. وهكذا فإن الرسول عزم على الذهاب أولاً إلى الأراضي المقدسة للقيام بمهمته الخاصة في مساعدة المحتاجين من القديسين ثم السفر إلى رومية على طريقه إلى أسبانيا وهو يعلم أهل الكنيسة في رومية بواجب المساعدة المتبادلة ضمن الكنائس الموجودة في العالم. فكما أن الكنائس في البلاد المقدسة أرسلت الإنجيل إلى العالم بأسره هكذا من واجب الكنائس التي استلمت هذه الهبة الروحية التي لا يقدر ثمنها بأن تساعد مالياً تلك الكنائس التي وقعت في الفقر وخاصة من جراء الاضطهادات التي وقعت فيها من أجل الإنجيل.

وقد طلب الرسول من المؤمنين في رومية أن يرفعوا صلواتهم من أجله ومن أجل المهمة التي كان سيقوم بها في البلاد المقدسة. فإنه كان يعلم من اختباره السابقة بأن طريقه لن يكون مفروشاً بالورود والرياحين حالما يطأ بلاد بني جنسه. كان يعلم أن أعداء الإنجيل كانوا يترصدون له ويقفون له بالمرصاد منتظرين أقل فرصة للانقضاض عليه وللتخلص منه. ونحن نعلم من قراءتنا لسفر أعمال الرسل بأن الله استجاب هذه الصلوات ولكن ليس بالطريقة التي توقعها الرسول. فإن بولس وصل سالماً إلى القدس وقام بمهمته الخاصة في توزيع المساعدات المالية من كنائس الأمم وكذلك ذهب بعد مدة إلى رومية. ولكن طرق الله تختلف عن طرق الإنسان ولا بد لجميع المؤمنين من أن يرضخوا لها ويتركوا المستقبل في يد الله. فلقد ألقى القبض على الرسول في القدس وكادت الغوغاء بأن تفتك به لولا تدخل الكتيبة الرومانية المرابطة بالقرب من الهيكل. وبعد مدة طويلة أمضاها الرسول في سجن القيصرية بدون أن يقدر أعداؤه على برهان شكواهم عليه، ذهب الرسول إلى رومية كسجين إذ كان قد رفع دعواه إلى القيصر. وهكذا فإن رغبة الرسول تمت ولكن ليس كما كان يتوقعها في تفاصيلها العديدة. وكما أنه منحهم البركة قائلاً: إله السلام معكم

أجمعين هكذا اختبر بولس نعمة إله السلام في رحلته إلى البلاد المقدسة وفي مدة اعتقاله في
قيصرية وكذلك أثناء رحلته الخطرة إلى رومية إلى أن جاء أخيراً إلى رومية وشاهد
الأخوة المؤمنين وتعزى معهم بالإيمان والرجاء والمحبة المتبادلة.

الدرس السابع والعشرون

"أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا ٢ كي تقبلوها في الرب كما يحق للقدسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجتكم لأننا صارت مساعداً لكثيرين ولي أنا أيضاً. ٣ سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع ٤ اللذين وضعنا عنقيهما من أجل حياتي اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم ٥ وعلى الكنيسة التي في بيتهما. سلموا على ابينثوس حبيبي الذي هو باكورة أختانية للمسيح. ٦ سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيراً. ٧ سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيبي المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا في المسيح قبلي. ٨ سلموا على أميلياس حبيبي في الرب. ٩ سلموا على أوربانوس العامل معنا في المسيح وعلى إستاخيس حبيبي. ١٠ سلموا على أبلس المزمكي في المسيح. سلموا على الذين هم من أهل أرسنبولوس. ١١ سلموا على هيروديون نسيبي. سلموا على الذين هم من أهل نركسوس الكانين في الرب. ١٢ سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب. سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب. ١٣ سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمي. ١٤ سلموا على أسينكريتس وفليغون وهرماس وبنروباس وهرميس وعلى الإخوة الذين معهم. ١٥ سلموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس وعلى جميع القديسين الذين معهم. ١٦ سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة. كنائس المسيح تسلم عليكم. ١٧ وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشفاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه وأعرضوا عنهم. ١٨ لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلمات. ١٩ لأن طاعتكم ذاعت إلى الجميع فأفرح أنا بكم وأريد أن تكونوا حكماً للخير وبسطاء للشر. ٢٠ وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم. آمين. ٢١ يسلم عليكم تيموثاوس العامل معي ولوكيوس وياسون وسوسيبارس أنسباني. ٢٢ أنا تريتوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم في الرب. ٢٣ يسلم عليكم غايس مضيقي ومضيقي الكنيسة كلها. يسلم عليكم أراسنس خازن المدينة وكوارنس الأخ. ٢٤ نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم. آمين. ٢٥ وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرامة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية ٢٦ ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان ٢٧ لله الحكيم وخذته بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد. آمين". (رومية ١٦).

لقد وصلنا إلى نهاية رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية. وفي الفصل الأخير من هذه الرسالة نلاحظ أن الرسول يرسل سلاماته إلى العديدين من الأخوة والأخوات في كنيسة رومية وكذلك يغتنم الفرصة لتذكيرهم بالخطر العظيم الكامن لهم إن انقادوا إلى تعاليم

أصحاب البدع والمبائديء الكاذبة. وينقل أيضا الرسول سلامات أصدقائه الذين كانوا يجاهدون معه في سبيل الإنجيل والذين كانوا معه في مدينة كورنثوس. وينتهي رسالته بالصلاة إلى الله القادر على تثبيت المؤمنين في الطريق المستقيم إلى النهاية. وهذه بعض الملاحظات التي نقدمها بخصوص هذا الفصل:

١. كانت الرسالة ستحملها فيبي وهي خادمة الكنيسة في مدينة كنخريا وهي مدينة مجاورة لكورنثوس. وقد كانت خدمة فيبي من نوع خاص أي أنها كانت قد كرسست نفسها لخدمة المؤمنين وخاصة المحتاجين والمرضى والضعفاء. وقد ساعدت الرسول أيضاً ولذلك فهو يطلب من المؤمنين في رومية بأن يحسنوا معاملتها بشكل خاص لأنها تعبت جداً في سبيل الرب.

٢. من المهم أن نلاحظ أن قائمة الأسماء التي تشمل رجالاً ونساء والتي قد لا تظهر ذات أهمية في بادئ الأمر تعلمنا عدة أمور عن الحياة في العصر الأول المسيحي. فالمسيحي أو المسيحية لم يكونا ذلك بالاسم بل بالفعل فقط. وقد كان هناك احتمال هبوب ريح الاضطهادات في الانتماء إلى أتباع يسوع المسيح وإلى كنيسته ومع ذلك فإن الناس لم يمتنعوا عن الاعتراف بالمسيح يسوع علانية والعمل له بجد ونشاط. وهم برهنوا في حياتهم بأنهم كانوا قد فهموا معنى الحياة الحقيقي ولم يعودوا ينظرون إلى الحياة من وجهة نظر زمنية محدودة. وهكذا فإن البعض عملوا إلى درجة أنهم وضعوا أعناقهم من أجل الرسول، وآخرون تعبوا كثيراً في سبيل البشارة والمبشرين، وآخرون أسروا في سبيل الإنجيل. لم يكن هناك خمول أو جمود في حياة مسيحي العصر الأول. وهذا يفسر لنا من الناحية البشرية السبب الرئيسي لانتصار المسيحية على الوثنية وعلى الإمبراطورية الرومانية.

٣. مع كون أعضاء الكنيسة المسيحية في رومية عاملين وجادين في سبيل البشارة إلى درجة التضحية بحياتهم إلا أنهم لم يكونوا بدون حاجة إلى التذكير بالخطر الذي ينبعث من الداخل ألا وهو حدوث الانشقاقات والخصومات بسبب المعلمين الكذبة. ولذلك فإن الرسول وهو على وشك أن ينهي الرسالة يعود إلى تذكير الجميع بواجبهم أن يلاحظوا أصحاب الخصومات والبدع وأن يعرضوا عنهم ولا ينفادوا إليهم. إن المعلمين الكذبة الذين يعملون في الداخل هم أعوان الشيطان ولكنهم لا بد من أن يفشلوا في النهاية وحتى الشيطان فإنه سيسحق تحت أرجل المؤمنين. ولكن الشرط الأساسي هو أن لا ينحرف المؤمنون عن التعليم القويم الذي استلموه من الرسل القديسين أو من تلامذتهم المخلصين.

وإذ ينهي الرسول إملاءه لرسالته إلى رومية فإنه يتضرع إلى الله من أجلهم لكي يثبتوا في الإنجيل المقدس ثم يمجّد الرسول الإله الذي صنع منذ الأزل التدبير الخلاصي الذي تم في المسيح يسوع والذي تكلم عنه الأنبياء والذي غايته أن يأتي الجميع من أمم وغير أمم لإطاعة الإيمان. وهكذا ننتهي من دراسة مقتضبة لتعاليم الرسالة إلى رومية التي أن

فهمناها ولو بشكل بسيط نكون قد حصلنا على المفتاح الذي بواسطته نفهم سائر الأسفار المقدسة وبصورة خاصة نفهم عظم وبشاعة خطيتنا والخلص العظيم من الخطية الذي عمله لنا الله في يسوع المسيح وحياة الشكر والامتنان التي يجب أن نحياها نحن الذين آمننا بالله وبمسيحه وبروحه القدس. آمين.

أسئلة

١. ماهي علاقة المؤمن بالروح القدس؟
٢. لماذا رفضت أكثرية اليهود السيد المسيح؟
٣. هل علم موسى بأن الإنسان ينال رضى الله بواسطة حفظه للشرعية؟ وهل هناك من فارق بين ديانة العهد القديم وتلك التي كانت شائعة في أيام المسيح؟
٤. ما هو موقف المؤمن تجاه الخلاص المجاني الذي ناله من الله؟
٥. ما علاقة الإيمان أو المعتقد بالحياة اليومية؟
٦. ما هو تعليم الرسول بخصوص موقف المؤمن من الدولة؟
٧. ما هو شعار المؤمن وهو يحيا ضمن المجتمع البشري؟
٨. ما معنى " ضعيف بالإيمان " و " قوي بالإيمان "؟
٩. كيف نميز بين الأمور الرئيسية والأمور الثانوية وما هو تعليم الرسول بولس بخصوص هذا الموضوع؟
١٠. ماذا كان شعار بولس الرسول في أعماله التبشيرية؟
١١. ما هي خلاصة اللوح الثاني للوصايا العشر؟
١٢. كيف يمكننا أن نصف حياة مؤمني ومؤمنات العصر الأول للميلاد؟
١٣. ما هي الفائدة التي حصلنا عليها من دراستنا لهذا الكتاب؟

نشرة الأخبار السارة

النص الكتابي: الرسالة إلى رومية ١: ١-١٧

إذا أخذنا على عاتقنا موضوع تحليل محتويات النشرات الإخبارية اليومية نجدها تشير في كثير من الأحيان إلى الفواجع والمآسي التي تحدث في بقاع مختلفة من الأرض: مثل

سقوط طائرة ركاب كبيرة ومقتل المسافرين عليها... اصطدام بين قطارين ومصرع الركاب... زلزال قوى يقضي على الآلاف من السكان الأمنيين... زد على ذلك المشاكل التي كانت ولا تزال تقض مضجع الناس مثل عدم مقدرة الإنسان على العيش بسلام مع جاره الإنسان وقلة الموارد الغذائية والغلاء والبطالة والتلوث.

وإذا ما حصرنا أفقنا الحياتي بهذه الدنيا فقط وبما نسمعه من الأخبار لخلصنا إلى القول بأن الحياة ستزداد من سيء إلى أسوأ وأن المستقبل قائم للغاية. لكن الحياة ليست مستنيرة بنور أرضي محض – هذا إن كنا نؤمن بالله الذي تكلم ولا يزال يتكلم في الكتاب المقدس. لا تكمن الحقيقة الكبرى والنهائية بخصوص حياتنا في ما نسمعه من أخبار يومية بل في كلمة الله الحية والفعالة. ومن هذه الزاوية يمكننا النظر إلى كلمة الله وكأنها مصدر نشرة يومية للأخبار السارة. تنادي كلمة الله بالإنجيل وكلمة "إنجيل" يونانية الأصل وتعني حرفياً: الأخبار السارة أو الأنباء المسرة.

لخص الرسول بولس تعاليم رسالته إلى جماعة الإيمان في عاصمة الإمبراطورية الرومانية قائلاً: "١٦ الأتي لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن: لليهودي أولاً ثم لليوناني. ١٧ لأن فيه معلن بر الله بإيمان كما هو مكتوب «أما البار فبالإيمان يحيا»." (رومية ١: ١٦ و١٧).

وكان الرسول قد كتب في فاتحة الرسالة: "بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولاً المفترض لإنجيل الله". لم يكن الإنجيل من مصدر بشري ولم يخترعه بولس أو بطرس أو يوحنا أو رسول آخر. الإنجيل هو إنجيل الله بمعنى أن الله هو صاحب هذا الخبر المفرح وأن الله كان قد أوحى بمحتوياته بصورة تدريجية منذ القديم بواسطة الأنبياء الذين حفظت رسالاتهم في كتب العهد القديم (أي التوراة والأنبياء والمزامير).

إن كان الرسول متيقناً كل اليقين بأن الله هو صاحب الإنجيل فلماذا لخص رسالته قائلاً بطريقة سلبية: "١٦ الأتي لست أستحي بإنجيل المسيح". كان الرسول ملماً كل الإلمام بأن جماعة الإيمان في رومية كانت تعيش وسط محيط وثني معادٍ تماماً لفحوى رسالته الخلاصية. كان العديدون من الذين يعدون أنفسهم من مثقفي العالم المتوسطي آنذ، كانوا ينظرون إلى مناداة بولس بالإنجيل وكأنه يقوم بعمل لا قيمة له وأن جميع جهوده التبشيرية كانت ستتبخر وتزول لزعهم بأن الإنجيل كان بدون معنى ولأنه كان مخالفاً لأي منطق سليم. كان لسان حال الرسول هو: كيف أستحي بالإنجيل، بإنجيل الله وهو قوة الله لخلص كل من يؤمن؟

كان الرسول من ألد أعداء الإنجيل والمسيح وكان ذاهباً إلى دمشق لاضطهاد أتباع المسيح فيها – عندما ظهر له السيد له المجد وأظهر له بأنه من العبت الاستمرار في

محاربة بشرى رسالة الإنجيل. وبعد أن اهتدى بولس إلى المسيحية صار – بدعوة من المسيح – رسول الأخبار السارة وأسندت إليه مهمة المناداة بالإنجيل في جميع أنحاء العالم المتوسطي ولاسيما بين الذين كانوا من عابدي الأصنام.

الإنجيل هو قوة الله لخلاص كل من يؤمن. الإيمان شرط أساسي للاستفادة من عمل الله الخلاصي الذي تم في حياة وموت وقيامته المسيح. الإنجيل هو للجميع – إذ أنه ليس عند الله محاباة، لكن الذين يستفيدون من الإنجيل هم المؤمنون والمؤمنات فقط.

لماذا ذكر الرسول في خلاصته للإنجيل: "لليهودي أولاً ثم لليوناني"؟ إشارة بولس إلى الحقيقة التاريخية ألا وهي أن بني اسرائيل كانوا قد منحوا في أيام ما قبل الميلاد ميزة استلام الوحي الإلهي ومعرفة الله الصحيحة. ولكن في أيام المسيح أضحت المعرفة الصحيحة عن الله للجميع. وعندما ذكر الرسول موضوع اليونانيين لم يعن وكأن الإنجيل كان لهم فقط، بل ذكرهم كممثلين لسائر الأقسام التي كانت متعبدة للأصنام وكذلك لكون حضارتهم ولغتهم منتشرتين في أكثر أنحاء العالم. وبصورة مختصرة: الإنجيل هو قوة الله لخلاص كل من يؤمن بغض النظر عن أصله وفصله.

لم يكتف الرسول بالكلام عن كون الإنجيل قوة الله للخلاص بل استمر شارحاً ومفسراً: "لأن فيه مُعلنٌ برُّ الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوبُ «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا». وهذه الكلمات الأخيرة كانت مقتبسة من نبوة أو سفر حبوق النبي الذي كان قد عاش في أيام النظام القديم أي أيام ما قبل الميلاد.

تشير كلمات الرسول هذه إلى أن الإنسان – كما هو الآن – جاد وراء تبرير نفسه بنفسه وبشتى الطرق والوسائل. يرغب الإنسان بأن يظهر لنفسه ولغيره بأنه بريء من كل ذنب وشر وأنه إن كان يوجد شر وضلال وظلام في الدنيا – فإن ذلك يكمن في غيره من الناس. لكنه مهما حاول وجدَّ فإن الإنسان يعلم في قرارة قلبه بأنه معذب الضمير وأن حياته ليست على ما يرام.

ما لا يتمكن الإنسان من الحصول عليه: أي السلام الداخلي وراحة الضمير، يهبنا إياه الله كعطية مجانية ويدعى هذا بلغة الوحي ببر الله أي البر الذي مصدره هو الله. ويحصل الإنسان على عطية الله هذه بواسطة الإيمان. هذا أمر لا يصدق، إنه يفوق كل عقل وتصور. كيف يمكنني أنا الإنسان الشقي والمعذب بأن أحصل على السلام والطمأنينة بدون أي عمل أقوم به للتكفير عن ذنوبي وخطاياي ومعاصي وأثامي؟ نعم الإنجيل هو خير سار ومفرح للغاية ويفوق كل تفكير بشري المصدر.

لم يكن بولس الرسول أول من أوحى إليه بالإنجيل أو بالخبر المفرح عن عمل المسيح الخلاصي. كان الله قد أوحى بخبر الإنجيل منذ أيام آدم وإبراهيم وموسى والأنبياء. ولا بد لكل من يفكر في الموضوع ملياً بأن يتساءل: على أي أساس أنال بر الله؟ وكيف أحصل على هكذا هبة مجانية؟ ولماذا اختار الله هكذا طريقة للخلاص وهو يعلم بأننا أناس نرغب في مشاركته في موضوع خلاص نفوسنا؟ هذه الأسئلة أجاب عنها بولس الرسول في تفسيره للإنجيل في الفصول الثمانية الأولى من الرسالة والتي من المهم لنا جداً أن نعيد تلاوتها إلى أن نتعلمها جيداً. وكما كنا قد ذكرنا مراراً وتكراراً لدى دراستنا النظامية للرسالة إلى رومية، متى فهمنا تعاليم هذا السفر من العهد الجديد نكون قد حصلنا على المفتاح الذي بواسطته نفهم سائر أسفار العهد القديم والعهد الجديد.

المهم الآن وقد وصلنا إلى نهاية هذا الكتاب بأن يسأل كل قارئ نفسه هذا السؤال المصيري: هل أشعر بحاجتي إلى بر الله وغفرانه؟ أم هل لازلت أسعى للحصول على مرضاة الله بقواي الخاصة؟ آمن، آمن اليوم بالإنجيل، بخبر الله المفرح فتصبح من الخالصين، آمين.

مطبوعات ساعة الإصلاح

- تفسير الرسالة إلى رومية
- تفسير الرسالة إلى العبرانيين
- الحرية في المسيح: تفسير الرسالة إلى غلاطية
- وحي الكتاب المقدس

- إطاعة الإيمان
- شهادة الإيمان
- الصلاة الربانية
- العقيدة الكتابية للكفارة
- العبادة العائلية
- تأملات في الحياة المعاصرة: ٤ أجزاء
- رسالة الأنبياء
- تعاليم الكتاب المقدس

ترحب إدارة ساعة الإصلاح بمقترحات المستمعين والقراء الكرام فيما يتعلق بهذه المطبوعات التي غايتها هي التعمق في معرفة تعاليم الوحي الإلهي ومجابهة هجمات سائر الصنميات المعاصرة التي تحاول إبعاد المؤمنين عن جادة الحق والصلاح.

إيمان أبينا إبراهيم

النص الكتابي: الرسالة إلى رومية ٤

هل تعلم أنه من أهم العلوم التي تساعدنا على تفهم الماضي هو علم الآثار القديمة؟ برز هذا العلم بصورة خاصة في القرن التاسع عشر ولا يزال يعد من أهم العلوم. ونحن في البلاد العربية من أغنى الناس في كمية الآثار القديمة التي حفرت وصارت معلومة في جميع أنحاء العالم. ففي مصر مثلاً جرت اكتشافات عظيمة ساعدتنا على فك رموز اللغة أو

الكتابة الهيروغليفية التي كانت تستعمل في بلاد النيل في أيام الفراعنة. وفي فلسطين جرت اكتشافات عديدة من أهمها الأسفار المقدسة التي كانت مخبأة في كهوف قمران بالقرب من البحر الميت والتي تثبت لنا بأن الأسفار المقدسة لم يجر عليها أي تغيير أو تحوير عبر العصور المتعاقبة. وفي شمال سوريا بالقرب من شاطيء البحر الأبيض المتوسط وفي مكان يدعى برأس شمرا اكتشفت آثار هامة لحضارة الحثيين. أما في جنوبي العراق فهناك حفريات أور الكلدانيين وهو مسقط رأس إبراهيم الخليل.

ولقد أتيت على ذكر علم الحفريات أو الآثار القديمة لأشدد على أن الذين عاشوا قبلنا منذ آلاف من السنين كانوا بشراً مثلنا بالرغم من أنهم لم يعرفوا الطائرة ولا المذياع ولا التلفزيون. من السهل جداً لنا أن نعدد الفوارق بيننا وبينهم، ولكنه إن كنا جادين في مقارنة أنفسنا بأسلافنا لابد لنا من القول بأنه هناك قاسم مشترك أعظم يجمعنا معهم هو أكبر بكثير وأهم بكثير من الأمور الجانبية أو السطحية التي تفرقنا عنهم.

وهكذا لابد لنا من دراسة سيرة بعض العظماء الذين عاشوا في العصور القديمة لتتعلم ما يلزمنا من سيرتهم. ومن أعظم الناس الذين عاشوا في أيام ما قبل الميلاد كان إبراهيم الخليل. وقد بحث في سيرة إبراهيم الرسول بولس وذلك في الفصل الرابع من رسالته إلى أهل الإيمان في رومية.

كان الرسول قد علمنا في الفصل الثالث من رسالته هذه أن الله قد كشف عن طريقة فعالة للخلاص من الخطية ومن عواقبها الوخيمة. وضع الله أساس الخلاص في المسيح وفي عمله الفدائي الذي تم على الصليب خارج أسوار مدينة القدس. يستفيد كل إنسان من الخلاص والفداء بواسطة الإيمان بالمخلص المسيح.

ظهر تعليم الرسول لمعاصريه وكأنه بدعة دينية. ولذلك ذهب إلى الكتاب المقدس وخاصة إلى ما ورد في التوراة عن سيرة إبراهيم الخليل. قال بولس: " ۱فَمَاذَا نَقُولُ إِنَّ آبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ الْجَسَدِ؟ ۲لَأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ قَدْ تَبَرَّرَ بِالْأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ - وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى اللَّهِ" (رومية ۴: ۱و ۲) ثم استطرد الرسول قائلاً: " ۳لَأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «فَأَمَّنَ إِبْرَاهِيمَ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا» (۳).

علم مفسرو الكتاب المقدس في أيام المسيح بأن الإنسان يقدر بجهوده الخاصة أن يتمم ويكمل جميع مطالب الشريعة الإلهية وإذ ذاك ينال رضى الله. وادّعوا بأن هذا المبدأ كان ساري المفعول على حياة العظماء في أيام ما قبل المسيح مثل إبراهيم وموسى وداود. لكن الرسول بولس لم يقبل هذه الادعاءات الواهية. فلجأ إلى توراة موسى وإلى السفر الأول المعروف بسفر التكوين حيث ورد في الفصل الخامس عشر بأن إبراهيم آمن بالله فحسب له ذلك برّاً. وبناء على هذا التعليم الكتابي الصريح استطرد الرسول معلقاً ومفسراً:

"أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ (أي الذي يظن بأنه يقدر مرضاة الله بجهوده الخاصة المبنية على حفظ كامل للوصايا الإلهية) فَلَا تُحْسَبُ لَهُ الْأَجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. وَأَمَّا الَّذِي لَا يَعْمَلُ وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ فَايْمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بَرًّا " ٤ و ٥.

لم يعن الرسول بأن تكيف الحياة بمقتضى الشريعة الإلهية هو خطأ ولكنه كان يتكلم عن موضوع مرضاة الله، وهذا لا يتم (حسب تعليم الرسول المنطبق على الكتاب) بجهود الإنسان الخاصة بل بنعمة الله أي بهبة الله غير المستحقة والتي هي مبنية على ما قام به المسيح على الصليب. يطلب الله من الإنسان أن يؤمن أي أن يضع ثقته في ما قام به الله لإنقاذ الإنسان من شره وضلاله ونبذ ما يزعجه الإنسان بأنه في مقدوره كسب رضى الله .

ذهب الرسول إلى سفر مزامير داود واقتبس من المزمور الثاني والثلاثين حيث قال النبي بوحى من الله:

" طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيئَتُهُ. ٢ طُوبَى لِرَجُلٍ لَا يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيئَةً وَلَا فِي رُوحِهِ غَشٌّ ". لو كانت هذه المراحم الإلهية كغفران الآثام وستر الخطايا مبنية على ما يقوم به الإنسان لما صيغت كلمات المزمور على تلك الشاكلة.

نعود إلى سيرة إبراهيم. من المعلوم أن الله بعد أن دعاه لترك أهله ووطنه والتغرب في أقسام أخرى من الشرق الأوسط طلب منه بعد سنين عديدة من تلك الحادثة التي ذكرناها بخصوص تبريره، بأن يختن (أي يتطهر) هو وجميع نسله من الذكور. علم معاصرو الرسول من علماء اسرائيل بأن الختان كان الأساس للقبول لدى الله. شددوا على أهمية العلامة أو الختم أو الرمز وأهملوا المرموز إليه أي وعد الله الخلاصي. جابه بولس هذا الاجتهاد الخاطيء قائلاً:

"لَأَنَّنا نَقُولُ إِنَّهُ حُسِبَ لِإِبْرَاهِيمَ الْإِيمَانُ بَرًّا. ١٠ فَكَيْفَ حُسِبَ؟ أَوْهُوَ فِي الْخِتَانِ أَمْ فِي الْعُرْلَةِ؟ لَيْسَ فِي الْخِتَانِ بَلْ فِي الْعُرْلَةِ! ١١ وَأَحَدَ عَلامَةَ الْخِتَانِ حَتْمًا لِيَرَّ الْإِيمَانُ الَّذِي كَانَ فِي الْعُرْلَةِ لِيَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْعُرْلَةِ كَيْ يُحْسَبَ لَهُمْ أَيْضًا الْبِرُّ. ١٢ وَأَبًا لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ الْخِتَانِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطَوَاتِ إِيْمَانِ آبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَانَ وَهُوَ فِي الْعُرْلَةِ " (رومية ٤ : ٩-١٢).

لم يكن الرسول من الذين يؤخذون بالمراسيم الدينية في حد ذاتها ولم يقبل مطلقاً تجريدها مما كانت تشير إليه من الأمور الروحية الجوهرية. كان همه الوحيد الإشارة إلى أن ما نتعلمه من سيرة إبراهيم هو إيمان إبراهيم. طبعاً، كانت أعمال إبراهيم هامة ولكنها لم تكن ذات قيمة في ذاتها بل نبعت من الإيمان الحي بالله وبمواعيده التي كانت تظهر وكأنها من المستحيلات. أهمية إبراهيم هي أنه كان مؤمناً بالله ولذلك دعي بخليل الله وبأبي

المؤمنين. وقد ذكر الرسول عن هذا الموضوع "٢٣ وَلَكِنْ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ أَجْلِهِ وَحَدَهُ أَنَّهُ حُسِبَ لَهُ ٢٤ بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضاً الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ. ٢٥ الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبْرِيرِنَا " (رومية ٤: ٢٣-٢٥).

لم يتكلم بولس الرسول عن هذا الموضوع لمجرد استعراض سيرة ذلك الرجل الجبار والفذ الذي عاش قبل مئات من السنين من أيامه. أشار الرسول إلى إبراهيم لأنه كان من أعظم شخصيات العالم القديم نظراً لإيمانه بالله ولصيورته المثال الذي على المؤمنين والمؤمنات أن يحتذوا به. عاش إبراهيم حياة الإيمان بمواعيد الله فنال بره من الله كهبة، كنعمة لا كعمل.

كانت أيام إبراهيم أيام مواعيد الله بخصوص ذلك الذي كان سيأتي من نسل إبراهيم والذي كان سيتم ويكمل هذه المواعيد العظيمة. وفي اليوم المعين من الله جاء المسيح المخلص وعاش في الأرض المقدسة مدة ثلاث وثلاثين سنة. علم الجموع وشفى المرضى وأقام الموتى. وانتهت حياته على الأرض بموته على الصليب وظهرت قوته الخلاصية الهائلة في قيامته من الأموات. أيام المسيح هي أيام تتميم مواعيد الله ونبوات النظام القديم، هذه الأيام تتطلب من جميع الناس بأن يضعوا ثقتهم التامة في يسوع المسيح المخلص. من آمن بالمسيح نال بر الله وصار من الخالصين. آمين.

ثوب البر

عز وثوب يلمع

وفيه رأسي أرفع

في موقف الحق المبين

برك يا رب ردا

ألبسه بين العدى

في يوم بعثي أقف

الحي من أجلي دفين

وبابتهاج أهتف

من كل ثوب أظهر

هذا الردا خير الحلى

في لونه تغير

ليس به عيب ولا

رب البرايا القادر

ستسمع الموتى ندا

بر المسيح الظافر

ويرتدي أهل الهدى

الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل